

إربد عروس الثقافة

أ.د. صلاح جرار

كما توّجت مدينة إربد منذ سالف الزمان عروسًا للشمال الأردنيّ، فإنها تتوّج في هذا العام مدينة للثقافة الأردنيّة، وغدت عروسًا للثقافة ترنو إليها الأنظار ويحتفي بها أهل الأدب والفنّ والثقافة والفكر والإبداع.

وممّا يعنيه أن تكون إربد أو غيرها من محافظات المملكة مدينةً للثقافة أن تخصّص لها جميع المؤسّسات الثقافية مساحةً مناسبة من الاهتمام والرعاية وأن تفرد لها الصحف والمجلاّت والدوريات الثقافية والأدبية من صفحاتها ما يليق بها، ومن هنا فإن مجلّة أقلام جديدة واحتفاءً بهذه المناسبة وتقديرًا لأهميتها قد حرصت منذ البداية، وبالتنسيق مع اللجنة الوطنية العليا لإعلان إربد مدينة الثقافة، على أن تشارك هذه المحافظة العزيزة أنشطتها الثقافية، وتخصّص هذا العدد من أعدادها للإسهام في تلك الأنشطة.

وقد اشتمل العدد على مقالات ودراسات عن إربد وتاريخها الثقافي وأعلامها من أهل الأدب والفكر والثقافة، كما اشتمل

على دراسات ومقالات تتناول بالنقد والتعريف كتبًا ومؤلفات وأعمالاً إبداعية ألّفها أدباء ومفكرون ومؤرّخون من إربد، إلى جانب نصوص إبداعية لأصوات شبابية جديدة.

ونحن، إذ نشارك إربد فرحتها بإعلانها مدينة للثقافة نأمل أن تشكّل هذه المناسبة خطوة مهمّة نحو نهضة ثقافية متجدّدة ومستمرّة تحافظ على ما أرساه السلف وتبعث العزم في الأجيال القائمة والقادمة وتربط بين النهضة الثقافية ونهضة الوطن في سائر ميادينه.

كما نأمل أن يكون حصاد هذا العام بعد انقضائه باهرًا في نوعه ومضمونه وحجمه وأن يكون دافعًا للمدن الثقافية القادمة لبذل أقصى ما تستطيع في مضمار العمل الثقافي.

هنيئًا لعروس الثقافة الأردنية عرسها الثقافي، وبارك الله في الجهود الخيّرة المتواصلة التي بذلتها وتبذلها اللجنة الوطنية العليا لإعلان إربد مدينة للثقافة. وكلّ عام وثقافتنا بألف خير.

والله الموفّق،،

أول رئيس لبلدية إربد
الشيخ محمد الحمود الخصاونة

١٨٥٠م – ١٩٢٩م



أحمد صدقي شقيرات *

إربد مدينة الثقافة الأردنية ٢٠٠٧

كان الشيخ محمد الحمود الخصاونة أول رئيس لبلدية مدينة إربد العثمانية منذ تأسيسها ولمدة خمس سنوات متتالية. فهو من أهم الشخصيات المحلية التي لعبت دورًا مهمًا في قضاء عجلون العثماني (شمال الأردن) على المستويين الرسمي والشعبي في أواخر العهد العثماني، وقد تولّى الشيخ الخصاونة العديد من الوظائف وشارك في عدد كبير من اللجان والهيئات الرسمية العثمانية، ومن جانب آخر فقد كان الشيخ محمد الحمود يمثل رأس الزعامة المحلية والعشائرية في ناحية بني عبيد التي كانت ضمن قضاء عجلون العثماني، وكان كذلك آخر مشايخ الخصاونة في العهد العثماني.

هو: محمد بن حمود بن صالح الموسى الحمد الخصاونة، وقد اشتهر هذا الفرع (بالحمود أو آل الحمود) أكثر من شهرتهم بالخصاونة، وذلك نسبة إلى جدهم القريب (حمود الصالح) وهم يقيمون في بلدة إيدون.

ولد المذكور في بلدة الحصن (موطن الخصاونة الأول) حوالي عام ١٢٦٧هـ = ١٨٥٠م، وذلك اعتمادًا على معطيات الروايات الشفوية، ولا تتوفر أية معلومات عن سنوات طفولته وشبابه.

تعليمه: تشير بعض الروايات الشفوية بأن الشيخ محمد الحمود كان قد تلقى تعليمًا خاصًا على يد بعض المشايخ والخطباء في قرية الحصن أو إيدون خاصة الشيخ النوباني، الذي كان صهرًا للخصاونة، وكان يمارس مهنة التعليم بالإضافة لوظائفه الدينية، ويذكر حفيد المذكور ضيف الله الحمود أنّ جده محمد الحمود كان يجيد القراءة والكتابة بطريقة

* باحث في الدراسات العثمانية – إربد – الأردن.

ممتازة، ويقول نقلاً عن المرحوم سامح حجازي: إنّ خمسة أو ستة من الرجال الخيالة كانوا يأتون من حوران قاصدين محمد الحمود "ليفكّ" أو يقرأ لهم المكتوب أو المحررات.

مشيخته: قبل الحديث عن مشيخة الشيخ محمد الحمود لابد من الإشارة إلى تداخل واضح بين المشيخة العشائرية والمؤسسة الرسمية العثمانية؛ إذ نجد أن النظام الرسمي العثماني اعتمد على استيعاب قيادات المجتمع المحلي، التي كانت تتمثل في الزعامات والمشيخات العشائرية ونجد أن غالبية مشايخ قضاء عجلون العثماني قد تولت مناصب رسمية في الإدارة العثمانية، والحديث عن مشيخة السيد محمد الحمود هو نفسه الحديث عن بداية المناصب الرسمية في الإدارة العثمانية، وعلى أية حال لا نعرف بالضبط السنة التي تولى فيها المذكور زعامة أو مشيخة الخصاونة في إيدون، لكننا نجده قد قام ببناء مضافته في وسط بلدة إيدون القديمة في حوالي عام ١٢٨٧هـ - ١٨٧٠م، وهو أول مؤشر على ظهور مشيخة الشيخ محمد الحمود، وبعد عدة سنوات ظهر الحمود بشكل واضح حين تولى رئاسة المجلس البلدي لقصبة "إربد" مركز قضاء عجلون عام ١٣٠٠هـ = ١٨٨٣م، وأخذ يشارك ابن عمه الشيخ عبد الرحمن الطه الخصاونة (شيخ الخصاونة في النعيمة) في الزعامة العشائرية، ومشيخة بني عبيد، وأخذا بتبادل الأدوار العشائرية والوظيفية.

في عام ١٣١١هـ = ١٨٩٤م نجد غيابًا لدور الشيخ عبد الرحمن الطه الخصاونة على المستوى الرسمي، ونجد الشيخ محمد الحمود قد تزعم عشيرة الخصاونة (في إيدون والنعيمة) وأصبح من أكثر أعيان الخصاونة أو أعيان نواحي قضاء عجلون حضورًا على المستويين الرسمي والشعبي في القضاء في أواخر العهد العثماني وأوائل العهد الوطني الأردني.

أعماله في العهد العثماني: تولى الشيخ محمد الحمود العديد من المناصب الرسمية وشارك في العديد من الهيئات واللجان الرسمية التي شكلت في قضاء عجلون خلال العهد العثماني، وهي كما يلي:

أولاً: رئاسة بلدية قصبة إربد:

تُعدّ بلدية قصبة إربد (مركز قضاء عجلون العثماني) أول بلدية أردنية تأسست في العهد العثماني، وقد تأسست هذه البلدية بموجب قرار والي سورية أحمد حمدي باشا الصادر في ١٣ ذي الحجة ١٣٠٠هـ = ١٦ تشرين الأول ١٨٨٣م، استنادًا إلى نص المادة (١١١) من نظام إدارة الولايات العمومية العثماني لعام ١٢٨٨هـ = ١٨٧١م، والتي تخوله تشكيل البلديات في القصبات والمدن والبلدات التابعة للولاية، واستنادًا إلى نصّ المادة (١)

من قانون البلديات في الولايات العثمانية لسنة ١٢٧٤هـ = ١٨٧٧م، التي تنص "يترتب مجلس بلدي في كل مدينة وقصبة، أما دوائر النواحي فستقرر وظائفها بقانون مخصوص".

وصدر قرار الوالي بتشكيل بلدية إربد التي كانت في حينه بلدية لقضاء عجلون وليس لقصبة إربد فقط، وجرى انتخاب الشيخ محمد الحمود وتعيينه أول رئيس لبلدية قصبة إربد في ١٣ ذي الحجة ١٣٠٠هـ = ٢ تشرين الأول ١٢٩٩ مالية = ١٦ تشرين الأول ١٨٨٣م، وبراتب قدره (٣٠٠ غرش عثماني) استنادًا لنص المادة (٤) من قانون البلديات، وقد استمر الشيخ محمد الحمود في رئاسة بلدية إربد حتى عام ١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م.

ثانيًا: الوظائف الرسمية الأخرى:

١) انتخب عضوًا في مجلس إدارة قضاة عجلون للمرة الأولى في ٢٦ تموز ١٣٠٦ مالية = ٢٣ شوال ١٣٠٧ هـ= ١٠ آب ١٨٩٠م، كما يشير قرار متصرف لواء حوران ممدوح باشا، وقد استمر في عضويته حتى عام ١٣٠٨هـ =١٨٩١م، وقد أعيد انتخابه مرة أخرى، حيث نجد أنه كان عضوًا في المجلس المذكور في عام ١٣٢٨هـ = ١٩١٠م.

٢) عين الشيخ محمد الحمود في وظيفة مستنطق في محكمة بداية عجلون، بقرار من متصرف لواء حوران ممدوح باشا في كتابه رقم ١٧٩ تاريخ ٢٦ تموز ١٣٠٦ مالية = ٧ آب ١٨٩٠م.

٣) انتخب عضوًا في هيئة محكمة البداية لقضاء عجلون في ٢٠ تموز ١٣٠٧ مالية = ١ آب ١٨٩١م، بموجب الوثيقة رقم (٣٠٨) الصادرة عن قائمقام قضاء عجلون، وأعيد انتخابه لتلك العضوية في ٤ مارت ١٣٠٩ مالية – ١٦ آذار ١٨٩٣ وفي ٢٠ مارت ١٣٠٩ مالية = ٣ نيسان ١٨٩٣م، صدر تأكيد ذلك الانتخاب من قائمقام قضاء عجلون. وهذا ما تؤكده سالنامة ولاية سورية بأنه انتخب عضوًا في هيئة محكمة البداية لقضاء عجلون خلال الفترة (١٣٠٩ – ١٣١٣هـ = ١٨٩١ – ١٨٩٥م).

٤) انتخب عضوًا في هيئة المعارف (هيئة التعليم) في قضاء عجلون خلال الفترة (١٣١٢ – ١٣١٣هـ = ١٨٩٤ – ١٨٩٥م).

٥) عين المذكور رئيسًا للجنة شعبة المصرف الزراعي في قضاء عجلون، في ١٩ شوال ١٣١٢هـ = ١٥ نيسان ١٨٩٥م، وقد استمر بهذه الوظيفة عام ١٣١٥ هـ = ١٨٩٧م.

٦) وعُيّن مفتشًا عامًا للمواشي في لواء حوران في ٢٦ مارت ١٣١٣ مالية = ٧ نيسان ١٨٩٧م، وأُعيد تعيينه مرة ثانية في ١٠ مارت ١٣٢٠ مالية = ١٣ آذار

١٩٠٤م.

٧) عُيّن عضوًا في الهيئة التفتيشية للواء حوران في ١٣ أيلول ١٣٢٤ مالية = ٢٦ أيلول ١٩٠٨م.

ثالثًا: اللجان الرسمية:

عُيّن الشيخ محمد الحمود عضوًا في العديد من اللجان منها: لجنة تحصيل بقايا الأموال الميرية في قضاء عجلون، ورئيسًا للجنة إنشاء وتعمير سرايا الحكومة (دار الحكومة) وبناء السجن في قصبة إربد (مركز قضاء عجلون)، ولجنة توزيع إعانات التأسيسات العسكرية، ولجنة مأموري تحرير النفوس (الإحصاءات السكانية) في قضاء عجلون، وهيئة تسجيل العسكر في قضاء عجلون، ولجنة إعداد كشوفات محصولات قضاء السلط، ولجنة امتحان مكتب عجلون للمدرسة الابتدائية في قصبة إربد مركز قضاء عجلون، وهيئة النقليات العسكرية في قضاء عجلون، والهيئة الناخبة لمجلس المبعوثان العثماني في قضاء عجلون (الناخبين الثانويين) وقد عُين ناخبًا عن قرية (إيدون).

رابعًا: مراسلاته مع سعد الدين المقداد:

يشير السيد ضيف الله الحمود في دراسته عن محمد الحمود إلى المراسلات التي جرت بين الشيخ محمد الحمود وسعد الدين المقداد (مبعوث لواء حوران في مجلس المبعوثان العثماني)، التي جرت خلال الفترة (١٣٢٤ - ١٣٣٠ مالية = ١٩٠٨ - ١٩١٥م)، ويقول بأن عنوان تلك الرسائل التي كان يُوجهها سعد الدين المقداد إلى محمد أفندي الحمود وونس الهنداوي وعبد الرحمن الطه ومحمد المطلق اليطين، عنوانها (فتوتلو) وهذا المصطلح العثماني لا يعني هنا (يا صاحب الفتوى) بل هي من عبارات التكريم ويعني صاحب الكرم والسخاء، وفي هذا الصدد فإننا نجد كثافة شديدة في المراسلات المتبادلة بين الشيخ محمد الحمود وسعد الدين المقداد.

خامسًا: الأوسمة العثمانية:

حصل الشيخ محمد الحمود على الوسام المجيدي من الدرجة الخامسة، وذلك بتنسيب من قائد الجيش العثماني الرابع مع مجموعة من مشايخ ومخاتير في قضاء عجلون، وذلك بكتابه رقم ١٨٥ / ٣٩٠٠ تاريخ ١٣٣٣/١٠/٩ مالية = ٩ تشرين الأول ١٩١٧.

وفي نهاية العهد العثماني استضاف الشيخ محمد الحمود اللواء مصطفى كمال (أتاتورك) قائد الجيش العثماني السابع لمدة يومين في منزله في بلدة إيدون في ١٩ شوال ١٣٣٦ هـ = ٢١ أيلول ١٩١٨م، وذلك أثناء انسحاب ذلك الجيش من فلسطين في طريقه إلى الأناضول مرورًا بالأراضي الأردنية.

- **العهد الوطني الأردني:**

استمر نشاط الشيخ محمد الحمود

في بداية العهد الوطني الأردني، خاصة في مرحلة الحكومات المحلية، وبداية عهد الإمارة الأردنية، ولكن بعد ذلك انسحب من الحياة العامة وترك المجال في متابعة القضايا العامة لأبنائه، أما الأعمال والأحداث التي شارك فيها خلال تلك الفترة فهي:

١) الاجتماع الذي عُقد بين مشايخ عجلون ونائب المندوب السامي الإنجليزي الميجر سمرست الذي عُقد في بلدة أم قيس وتمخض عنه معاهدة أم قيس، فقد كان الشيخ الحمود أحد الموقعين عليها.

٢) عُيّن عضوًا فخريًا بصفته شيخ ناحية بني عبيد في مجلس تأسيس حكومة عجلون (المجلس الإداري التشريعي لحكومة عجلون) في إربد، وقد صدر أمر التعيين في ٢١ ذي الحجة ١٣٣٨ هـ = ٥ أيلول ١٩٢٠م.

٣) شارك في تأسيس حكومة دير يوسف (حكومة ناحية الكورة وناحية بني عبيد) مع الشيخ كليب الشريدة، بعد أن انشقت ناحية بني عبيد عن حكومة إربد، وقد عُين المذكور عضوًا في المجلس التشريعي لحكومة دير يوسف في ١ محرم ١٣٣٩ هـ = ١٥ أيلول ١٩٢٠م، وكان من مشايخ بني عبيد الذين شاركوا في هذه الحكومة: سالم الهنداوي، عقله محمد النصير، الحاج سالم الإبراهيم.

٤) قاد الشيخ محمد الحمود الجموع من أهالي إيدون في واقعة تل أبو العلا، التي تصدت لعربان بني صخر، الذين حاولوا الإغارة على بلدة إيدون، وقد تمّ صدّ تلك الغارة، وتذكر الرواية الشفوية أنه كان من بين تلك الجموع عدد كبير من أبناء الحمود والخصاونة.

٥) أصبح الشيخ محمد الحمود رئيسًا لناحية بني عبيد، حسب مراسلات قائمقام عجلون الموجّه للمذكور والتي نشرها السيد ضيف الله الحمود، ويعود تاريخها إلى ١٥ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ = ٢٤ شباط ١٩٢١م و ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٣٩هـ = ٣ آذار ١٩٢١م.

- **سنواته الأخيرة ووفاته:**

بعد عام ١٣٣٩ هـ = ١٩٢١م، وحسب معلومات ضيف الله الحمود انسحب الشيخ الحمود من الحياة العامة، ولم يعد يمارس أي نشاط رسمي عام، واكتفى بشؤونه الخاصة والعائلية داخل بلدة إيدون، وبقي كذلك حتى وفاته في ١ شوال ١٣٤٧ هـ = ١٣ آذار ١٩٢٩م، عن عمر يقارب الثمانين عامًا ودُفن في قرية إيدون.



الدكتور محمّد صبحي أبو غنيمة رسالتان وقصيدة مخطوطة



كايد هاشم *

الدكتور محمد صبحي أبو غنيمة (١٩٠٢- ١٩٧٠): عبقريّة أردنيّة لا تُنسى، متعدِّد المواهب، غنيّ الخبرات، جَمَعَ بين الأدب والطب والسياسة والصحافة، فكان من الأعلام الروّاد في الحركة الفكريّة والأدبيّة الأردنيّة.

ولد في إربد سنة ١٩٠٢ -على سبيل التخمين- ودرس فيها وفي مكتب عنبر بدمشق، والتحق بعد ذلك بمدرسة الهندسة العليا في استانبول، إلا أنه لم يكمل دراسته فيها وعاد إلى مكتب عنبر قبل أن يذهب إلى ألمانيا لدراسة الطب في جامعة برلين. فهو من أوائل الأطباء الأردنيّين، وقد مارس الطب بعد تخرجه في عيادة خاصة افتتحها بعمّان سنة ١٩٢٩، وكان أول من أدخل استعمال الكهرباء في الأردن من خلال عيادته، ثم مارس تخصصه في دمشق التي



الدكتور محمد صبحي أبو غنيمة

* كاتب وباحث ومحقق – الأردن .

أقام فيها منذ سنة ١٩٤٧، وكان انتقل إليها لأسباب سياسيّة.

يعدّ من أوائل الكُتّاب المؤلّفين وصاحب أوّل مجموعة قصصيّة في الأدب الأردني المعاصر، تلك هي مجموعته "أغاني الليل" المطبوعة سنة ١٩٢٢ في مطبعة الترقّي بدمشق؛ فضلاً عن أنه شاعر كتب الشعر وترجم بعض القصائد من اللغة الألمانية.

وفي حقل البحث الطبيّ أنجز مؤلّفًا علميًّا نفيسًا سمّاه "نظرة في أعماق الإنسان"، طُبع في مطبعة الأديب ببيروت سنة ١٩٥٨، وضمّنه بحثًا معمقًا على ضوء تفكير حديث يجمع ما بين الطب وعلم النفس والفلسفة صاغه بأسلوبه الأدبيّ الممتع.

أما في ميادين الوطنيّة والقوميّة فقد كان في طليعة زعماء شباب المعارضة الوطنية، الذين تصدوا للانتداب البريطاني والسلطات الاستعمارية. وفي حقل الصحافة أصدر في عمّان بمشاركة عادل العظمة صحيفة "الميثاق" الأسبوعية سنة ١٩٣٣، التي كانت تنطق بلسان حزب "اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني الأردني"، غير أن هذه الصحيفة لم تستمر طويلاً وتوقفت بعد صدور بضعة أعداد منها. وكان خلال دراسته في ألمانيا قد أصدر مجلّة أدبية فنية سمّاها "الحمامة"، صدر منها عددان سنة ١٩٢٣. له أيضًا كتاب "من الأيام" الذي احتوى على مقالاته التي كان ينشرها في عمود له بجريدة "الأيام الدمشقية"، وقد طُبع هذا الكتاب في دمشق عام ١٩٤٠. ومن آثاره المخطوطة رواية بعنوان "العواطف".

اختير د. أبو غنيمة سفيرًا للأردن في سورية سنة ١٩٦٤، ومرة أخرى سنة ١٩٦٩، وكانت وفاته في دمشق في ١٩٧٠/١٠/٢١. وقد جمعت كريمته الكاتبة الدكتورة هدى أبو غنيمة أوراقه والعديد من كتاباته في كتاب ضخم صدر في مجلدين تحت عنوان "سيرة منفية" من منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

وما ننشره اليوم من بعض تراثه الأدبي يشتمل على:

(١) رسالة موجهة منه إلى صديقه الأديب عيسى الناعوري (١٩١٨-١٩٨٥)

تاريخها ١٩٥٩/٨/٩، وفيها يروي حادثة لا تخلو من الطرافة والغرابة في آن، جرت خلال طفولته، وتتعلق بقصة انتقاله إلى دمشق، أو بالأحرى أخذه عنوة إلى دمشق بتدبير من والي سورية التركي وإدخاله مدرسة عنبر، وضمنها قصة أخرى روى فيها كيف جرى تقدير سنّه بشهادة الشهود في إربد من أجل إدخاله تلك المدرسة. وهذه الرسالة سبق أن نشرها الناعوري في مقال له عن أبي غنيمة في مجلة "رسالة الأردن" (عدد نيسان ١٩٦٠)، وفي المقال نفسه مقتطفات من بعض قصائد أبي غنيمة من بينها مقتطفات من قصيدة "في ليلة العيد" التي نوردها هنا كاملة.

(٢) رسالة من أبي غنيمة إلى صديقه الأديب يعقوب العودات "البدوي الملثم" (١٩٠٩-١٩٧١) يذكر فيها بعض أعماله القصصية والشعرية، ويشير إلى أصداء ظهور كتابه "نظره في أعماق الإنسان"، وإلى اشتغاله على تأليف الجزء الثاني منه، الذي لم يُطبع حتى يومنا هذا: "الجهاز المجهول"، ثم يذكر مناسبة نظمه لقصيدة "في ليلة العيد" والفترة التي نُظمَت فيها. وأحسب أن هذه الرسالة لم تنشر من قبل.

(٣) النصّ الكامل لقصيدة "في ليلة العيد" نقلاً عن مخطوطة بخط الشاعر نفسه، وهي من أشهر ما كتب أبو غنيمة. وقد ميّزنا الأبيات التي لم ترد في مقتطفات الناعوري بعلامة النجمة (×). وتتجلى في هذه القصيدة نزعة الشاعر القومية في أسمى صورها، مازجًا فيها بين غربته ومشاعره الملتهبة بالحنين إلى وطنه وغربة أمته العربية في محنة تفرق كلمتها، وحاضًا أبناء قومه على التكاتف والتآلف والاتحاد سبيلاً لاستعادة أمجادهم، بعد أن باعدوا بينهم وبينها باللهاث وراء وعود الغرب السرابية، وبالخلافات والتجافي فيما بينهم، ومذكّرًا قومه ببطولات أبطالهم وتضحيات شهدائهم وما يحيق بهم من تربص الأعداء.

محمد صبحي أبو غنيمة

ومن الأمانة أن أذكر هنا أن عيسى الناعوري نفسه - رحمه الله - كان هو الذي زوّدني بصورة عن مقاله المشار إليه، وكذلك صورة عن مخطوطة تضم رسالة أبي غنيمة إلى العودات وبعض القصائد التي يبدو أنها أُرفقت بهذه الرسالة، وذلك حينما كنت أُعدّ القسم الثاني من كتابي "من بُناة النهضة الأردنيّة"، وقد طُبع القسم الأول منه في عمّان ١٩٨٤.

- **من رسالة أبي غنيمة إلى عيسى الناعوري:**

(١)

"أذكر أن إسماعيل فاضل باشا – والي سوريا آنذاك – جاء في رحلة إلى إربد، فلقنني المعلم (إسماعيل أفندي جركس) بعض كلماتٍ بالتركية لألقيها أمامه... ولما فعلت، وكان الجميع وقوفًا أمام دار الحكومة (القديمة) لم أشعر إلا والوالي يضمني إليه ويقبّلني، ثم يتكلم مع القائمقام – واسمه سليمان سري – بشيء، ثم سأل عن والدي، وكان بين الحضور، فقال له: "أريد أن آخذ ابنك إلى الشام". فقال أبي: يا أفندينا! لي ولدان، أحدهما في استنبول والثاني في الشام، وهذا الطفل أريد أن أربيه بنفسي". ولكن الوالي همس في أذن القائمقام شيئًا... وفي اليوم الثاني بينما كنت ألعب على البيادر القريبة من دارنا، إذا بدركي يتقدّم فيطعمني ويطعم رفاقي حلوى. وفيما أنا أمد يدي إليه اختطفني على ظهر حصانه، ولم أسكت عن البكاء إلا في درعا، حيث كان شرطي في انتظاري، فأركبني القطار، ومضى بي توًا إلى بيت الوالي وبقيت أيامًا، ثم أُدخلت مدرسة أهلية، لتعذّر قبولي في مدرسة عنبر بسبب صغر سني، إلى أن أرسلني – بعد جهود – إلى إربد، فصحح سني إلى أكبر، وكان الشاهد جارنا (موسى المقلد) الذي عندما سأله القاضي: "كيف تثبت أن عمره كذا؟.." أجاب: "يوم ولد هذا الأفندي الصغير انكسر ثوري في (البقعة)، فذهبت إلى والده، وكان مخيِّمًا في المزيريب، وبشّرته فأعطاني ثورًا" !!.. وكان القاضي – واسمه موسى بك، على ما أذكر – يداعبني بعد ذلك كلما لقيني، فيقول: "تاريخ ولادتك معروف: يوم كُسر الثور الأبيض"!

● **رسالته إلى يعقوب العودات:**

(٢)

دمشق ١٩٥٩/٧/٣١

أخي الغالي الأستاذ يعقوب حفظك الله

وصلني كتابك الكريم قبل عشرة أيام، وأعتذر عن التأخر بالإجابة حتى الآن لضيق وقتي.

أرجو أن تهدي تحياتي إلى الأخ الأستاذ عيسى الناعوري، والله لقد رفعتما رأس الأدب عاليًا في البلاد العربية عامة والأردن خاصة. وأرجو أن

يأتي الوقت الذي نستطيع أن نفيكما فيه بعض حقكما.

أنا شخصيًا لا أستطيع أن أُسمّي نفسي أديبًا أو شاعرًا، أنا طبيب وبسّ! ولكن حُسن الظن بي يريد أن يجعل مني ما تريدانني أن أكونه ولا رادّ لإرادتكما على ما يظهر فلك وله أعظم الشكر بقدر ما ستتحمّلان من المسؤولية لهذا السبب أمام الشعر والشعراء.

تسألني عن القصيدة التي مطلعها (أهوىً وجرحك ما يزال يسيل) وأقول: إنني أذكر شيئًا قلته يومًا كهذا أما ما هو فصدّقني إني لا أتذكره. إنني لا أحفظ شيئًا مما قلته - وهو قليل - إلاّ النادرَ ومن هذا النادر القصيدة التي سأكتبها لك بعد قليل.

أما في القصص - على طريقتي الخاصة - فلي من القصص الصغيرة (المثل الأعلى) و(هدية العيد) و(يوكوهاما) و(معلمتي إلزه) وغيرها تجدها في أعداد الجامعة الإسلامية التي كانت تصدر إذ ذاك في يافا وفي صحف الشام.

الشيء الذي أفخر به هو (نظرة في أعماق الإنسان) وأنا منهمك بإعداد الجزء الثاني منه وهو (الجهاز المجهول) ويكفيني أنه ما من كتاب دُرس وقُرّظ تقريظًا عامًا في جميع بلاد الدنيا العربية كما دُرس وقرّظ (نظرة في..).

أما القصيدة التي أحفظها وأنقلها لك فقد نُظمت في روما إبان الحرب ونحن في أسوأ حالة وفي.. ليلة عيد، ولذا أسميتها (.. في ليلة العيد) وأُذيعت إذ ذاك من جميع إذاعات أوروبا.

ثم تاريخ حياتي؟ أتركني من التاريخ، فالتاريخ الصحيح يُكتب بعد الموت ولا أدري متى يكون يومي وعسى أن أكون إذ يحين قد استطعت أن أُهيّء ولو سطرًا من تاريخ.. حياتي.

تحياتي لعيسى ولك مع صادق الحب والإخاء

(التوقيع)

محمد صبحي أبو غنيمة

(٣)

في ليلة العيد

مرابع الأنس حيّا الله ذكراها
كم انشق الوجد من طيب ريّاها
فيها العشيات أحلامٌ مذهبةٌ
والعسجديات نسقيها ونُسقاها
والليل كالأمل البسّام، فيه شيء
تخاله صُبحُه لولا ثرياها ×
وفتية كفتيت المسك، تندبهم
للغاليات فلا يبغون إلاها
شُمُّ العرانين، في أنفاسهم عبقٌ
من السمو، فهم في الهام أعلاها
عدوا على الظلم إذ أربى وحين خذى
فحاربوا الظلم جبارًا وأواها ×

لا يصغرون، وفي أحقادهم شممٌ
ويثأرون، فلا ينسون قتلاها
تلك الشرائع في الأمجاد نحفظها
وفخر قحطان فيها أن نُولاَّها
لا ينفض الذّل عن أردانه رجلٌ
بلاده لم تزل تبكي ضحاياها
....
مرابعَ الأنس... لسنا عنكِ في شغل
لو تعلمين، لنا نفسٌ فبعناها
إن الذي هاج بالزوراء هاج بنا
وهزّنا في دمشق نوحُ ثكلاها
والقدس في موكب الأبطال ما فتئت
يعزنا بالفداء السمح (أقصاها)
وتلك عمّان - والذكرى لها لهب -
وليس نقسو - وإن جارت فننساها -
أرض العروبة، في قرب ومغترب
لا دنّس العلج أقصاها وأدناها
......
مرابعَ الأنس، هذي أنّة(١) صدرت
من قلب حر، فهل تدرين مغزاها!
إني أرى الناس أشتاتًا قد اتفقوا
وعصبة فيك لم تعرف نواياها
ماذا يريدون؟ إن الله يأمرهم
بالاتحاد، فهلا أمّروا اللهَ!
يا واجدين، ولم تهدأ مصائبهم
خلاكمُ الذم، إن الخِلف أولاها
كل الجراحات قد تشفى لواعجها
إلا الجفا، فهو في الآلام أنكاها
لا تحسبوا ثمن استقلالكم بخِسًا
إن الذي خلق العلياء أغلاها
إن تلبثوا: كل بيت فيه سلطنةٌ
أضعتم البيت والسلطان والجاها
وعود (فرساي) فوق البرّ ما صدقت
فما وعودٌ على الأمواج نعطاها(٢) ×
......
مرابعَ الأنس قبل العيد حلّ وما
في غير ربعك أعيادٌ نُمنّاها
ماذا هو العيد للنائي وإن كثرت
من حوله الغيد أبهاها وأحلاها
ويح الغريب له في الدار ساهرةٌ
كأنما من حناياه حناياها
وطفلةٌ كالندى، نادت فأرقه
أن لا يجيب، فأبكاه وأبكاها
لو يعلم العيد ما في العيد من شجنٍ
لنازحٍ، لأطال الدرب أو تاها!

---

(١) إشارة إلى نزاع زعماء العرب في أوروبا إذ ذاك.

(٢) لم نعط إلا وعود على أمواج الأثير تعهّد بتنفيذها يونس البحري يونس البحري (١٩٠٠-١٩٧٩): أديب ورحالة ومؤرخ وإعلامي عراقي، كان مذيعًا في إذاعة برلين الناطقة بالعربية خلال الحرب العالمية الثانية

أديب عباسي: ناسك الحصن



ماجد ذيب غنما *

ولد الكاتب والمفكر الكبير أديب عباسي في مدينة الحصن شمال الأردن عام ١٩٠٥. وتلقى علومه الابتدائية في مدارسها، ثم تابع دراسته في معهد المعلمين في مدينة الناصرة. بعد ذلك أُوفد في بعثة دراسية إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، ودرس فيها اللغة العربية وعلم النفس. وكان الطالب الأردني الثاني الذي يتخرج في تلك الجامعة. أما المتخرج الأول فيُدعى علي سيدو الكردي.

كتب أديب أثناء وجوده في الجامعة، الكثير من المقالات العلمية والأدبية والقصص، في أشهر المجلات العربية آنذاك...

وبعد تخرجه عمل في سلك التعليم في الأردن عدة سنوات، لم يتوقف خلالها عن الكتابة، وكانت له جولات رائعة في دنيا الأدب والفكر والفلسفة، على صفحات المجلات العربية الكبرى كالمقتطف والهلال والرسالة والرواية والثقافة... وكان في كل ما يكتب ندًّا قويًا للكبار من الكتّاب والأدباء العرب، ومنهم الأديب العربي الكبير عباس محمود العقاد، الذي أقرَّ لأديب عباسي بقوة الحجة والمنطق السديد والفكر المستنير وبالغلبة في الرأي..

نال أديب عباسي شهرة كبيرة في الوطن العربي كأديب ومفكر وباحث، وتوقّع

* كاتب وباحث وقاص من الرواد – الأردن.

له الجميع مستقبلاً زاهرًا وإبداعًا غزيرًا متنوعًا. ولكن فجأة حدث ما لم يكن في حسبان أحد... فما أن وقعت النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨، حتى أنكفأ أديب عباسي على نفسه، واعتكف في بيته (العقد) الذي يملكه في الحصن، مؤثرًا العزلة والانزواء عن الناس، والتوقف نهائيًا عن الكتابة والنشر في المجلات والصحف التي كان يكتب فيها. ومع ذلك فإن عزلته. لم تكن تامة قاطعة. بل كان يستقبل خلالها وبين حين وآخر، بعض المثقفين والمهتمين بالأدب والثقافة وبعض الصحفيين...، ويتحدث إليهم في كثير من الشؤون. كما يقوم بإلقاء بعض المحاضرات وخاصة في علم الفلك وفي نقض النظرية النسبية لانشتاين،



والتي كان يقول إنه اهتدى إلى أكثر من عشرة معاول لهدمها.

وكانت تربطني بأديب عباسي صداقة عميقة، فهو ابن بلدتي الحصن، وكثيرًا ما قمت بزيارته، مع صديق الطرفين الأديب المرحوم عيسى الفاعوري. بهدف إقناعه بوضع حدٍ لعزلته المدمرة قبل فوات الآوان... ولكنه لم يكن يستجيب لمثل هذه الدعوات وبقي مصرًا على حياة العزلة التي اختارها لنفسه... والتي امتدت طويلاً جدًا.

كان اعتكاف أديب عباسي أمرًا محيرًا ومثيرًا للجدل والتساؤل، خاصة وأن هذه العزلة جاءت وهو في أوج عطائه الأدبي والفكري، وبعد أن أصبحت الشهرة الواسعة في متناول يده بل وعند أطراف أصابعه.

وقد صدر له خلال هذه العزلة







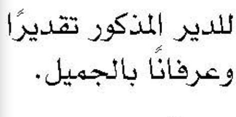
كتاب واحد هو (عودة لقمان) وهو كتاب في الحكم كتبه على لسان الحيوان والطير وقيل إنه جزء من اثني عشر جزءًا يتألف منها هذا الكتاب الذي يضم ألف قصة قصيرة.

لقد قيل الكثير في تفسير وتعليل العزلة التي اختارها أديب عباسي لنفسه، فمن قائل إنها عزلة المبدع المفكر الزاهد بكل مُتع الحياة ليعيش راهبًا للفكر والعزلة... ومن قائل إن أديب عباسي مثال حي لمأساة الأديب والمفكر والمثقف بوجه عام عندما يصطدم بجدار سميك من التضييق على حريته، وتقييد حركة قلمه وآرائه... وقيل الكثير غير ذلك. وكنت قد أشرت في مقالة لي نشرت في (الرأي) الأردنية بتاريخ ١٩٧٩/٥/٤ إلى هذا الانعطاف الكبير في حياة الأديب عباسي وتساءلت... ترى هل هو أحد المظاهر المبكرة لأزمة الأديب والمفكر العربي.

وفي اعتقادي أنه مهما قيل في أسباب هذه العزلة، فإن سببها الحقيقي سيظل مجهولاً إلا إذا كشفت بعض المخطوطات التي تركها أديب وراءه، جزءًا من هذه الحقيقة... ويمكن القول إن أكثر جوانب حياة أديب عباسي أهمية هي التي لم يعرفها أحدٌ بعد.

وهنا يتساءل البعض... لماذا لم يقاوم أديب عباسي العقبات والصعوبات التي واجهته، ولماذا اختار حرمان أبناء أمته من ثمار موهبته وفكره الإبداعي وعبقريته؟ وهل العزلة والانزواء هما الردّ الأمثل على تحديات الحياة وعلى الظلم والظالمين" أو ليس كل أديب ومفكر وصاحب رأي مقاومًا ومقاتلاً بطبعه؟ ولكن من يدري: لعل له عذرًا وأنت تلوم.

لقد عانى أديب عباسي من المرض سنوات طويلة... وقبل وفاته بسنوات حاول الانتحار، وتمّ إنقاذه في آخر لحظة. وعاش بعدها في رعاية كريمة في دير ومستشفى الراهبات الوردية القريب من الحصن. وقيل إنه أوصى بكل ما يملك من عقارات وأموال





للدير المذكور تقديرًا وعرفانًا بالجميل.

وفـــــــي يـــوم ١٩٩٧/٥/٩ رحل أديب، آخر (المعتزلة) و (إخوان الصفا) و (ناسك الحصن) بعد حياة حافلة بالإبداع والعذابات.

رحـل الـنـاسـك العتيق بعد أن أمضى حوالي خمسين عامًا في عزلة قاسية لم يسبقه إليها أحد، ربما باستثناء رهين المحبسين أبي العلاء. عزلة أو انزواء يشهد لصاحبه بقوة الإرادة وبالترفع عن متاع الحياة الدنيا وعن المركز والجاه والكسب الشخصي والشهرة.

رحل صاحب (عودة لقمان) وأكثر من ستين كتابًا مخطوطًا باللغتين العربية والإنجليزية في الشعر والفلسفة والعلوم والتأملات. ولم يتح لها أن ترى النور في حياة صاحبها وهي تنتظر من يخرجها من وحدتها التي امتدت كثيرًا.

لقد كان أديب عباسي من أوائل المفكرين العرب الذي عرفوا حقيقة الصهيونية، وأدركوا مدى مطامعها وخطورة أهدافها، وحاربها بكل ما يملك من فكر ورأي. ولعلنا نعثر بين آثاره المخطوطة على أكثر من كتاب حول هذا الموضوع.

لقد كان رحمه الله مَعْلَمًا من معالم مدينة الحصن وابنًا بارًا بها، ولست أعتقد بأن الحصن ستبقى على حالها بعد أديب عباسي.

لقد اختتم الفقيد الكبير حياته بعمليتين رائعتين تعبران بجلاء عن وطنية صادقة أصيلة وعن حب للآخرين.. فقد أعلن قبيل وفاته بأسبوعين ورغم اشتداد وطأة المرض عليه، عن إضراب مفتوح عن الطعام، احتجاجًا على بناء المستوطنات في جبل أبو غنيم وانتصارًا لفلسطين التي أحبها كثيرًا، كما أنه تبرع في اللحظات الأخيرة بقرنيتي عينيه بعد وفاته.

ولعل خير وفاء وخير تكريم لذكرى هذا الأديب الكبير، هو في المباشرة دون إبطاء بطباعة ونشر مخطوطاته ليطلع عليها أبناء العربية في كل مكان، وحماية لها من الضياع، وفي إطلاق اسمه على عدد من المؤسسات الثقافية والفكرية والجوائز الأدبية، في أكثر من قطر عربي. وذلك تقديرًا لعطائه ووطنيته وصموده الأسطوري. رحمه الله رحمة واسعة.



الشاعر المناضل محمود الروسان



محمود عبيدات *

حبا الله سبحانه وتعالى الوطن العربي بالثروات والخامات الطبيعية، وبموقعه الاستراتيجي الممتاز بين ثلاث قارات، ثم اختارته العناية الإلهية ليكون مهبط الوحي للأديان السماوية الثلاث... لهذه المميزات تكالبت قوى الشر والعدوان على هذا التراب المقدس، لتفتيت أوصاله وتشتيت شمل أبنائه، ولم يبخل الإنسان العربي في أقطاره وأمصاره كافة بردّ العدوان والدفاع عن عروبته دفاع الأبطال الأشاوس.

وقد تعددت صور معارك أبناء العروبة مع أعدائها، إذ لم تقتصر على الكفاح المسلح، بل كان للكلمة دور فعّال لا يقل شأنًا عن دور البندقية في مراحل النضال المختلفة، وخاصة من خلال الشعر العربي الذي انطلق من أفواه الشعراء، مواكبًا للأحداث المهمة التي مرت بها أمتنا العربية في تاريخها النضالي المديد. والشعر العربي، هو نداء العربي في بيدائه وصوته في حضره، والشاعر العربي هو صوت قومه وعشيرته في الجاهلية... والشاعر العربي المعاصر هو حفيد للشاعر الجاهلي، فهل كان على مستوى الأحداث التي عاصرها!!

محمود الروسان كان الفعل والفاعل في الأحداث كقائد عسكري، وعلى مستوى الأحداث كأديب وشاعر، وهذه المصالحة بين البندقية والقلم، كانت فلسفته في الحياة. فكان فعلاً على مستوى عالٍ من الوعي النضالي، وسخّر شعره لرفع صوت أمته عاليًا، وابتعد بشعره عن السفاسف من الأمور بل نستطيع القول إن محمود الروسان جعل للكلمة والقصيدة معنى

* باحث في الدراسات الفكرية والتاريخية – إربد – الأردن.

آخر تمامًا وارتفع بها إلى مستوى البندقية والرصاصة.

• **شيء من سيرته الذاتية**

ولد محمود بن أحمد بن سليمان بن محمد بن زامل بن خليل بن إبراهيم الروسان في بلدة (سما الروسان) لواء بني كنانة - محافظة إربد، وينسب وعشيرته إلى قبيلة عربية عريقة في النسب هي قبيلة (الخزاعلة). وجدّ الروسان المؤسس في الأردن هو الشيخ والزعيم "محمد بن زامل بن خليل". ويعتز التاريخ الأردني المعاصر بنخبة من رجال هذه العائلة المجاهدة في سبيل القضايا الوطنية والقومية، فعمّه الشيخ سليمان باشا السوري (عضو المؤتمر السوري في العهد الفيصلي) وعمّه الثاني (محمود أبو راس) كان قائدًا من ضباط الثورة العربية الكبرى، ووالده القائد العسكري (أحمد أبو راس) من قادة ثورة الجولان عام ١٩١٩م، وقائدًا مؤسسًا في الجيش العربي الأردني.

تلقى المرحوم محمود الروسان دراسته الأولى في مدينة إربد، ثم انتقل إلى عمان، ودرس فيها حتى نهاية المرحلة الإعدادية، وبعدها انتقل إلى ثانوية السلط وتخرج فيها عام ١٩٤١م.

تـرأس الطالب محمود الحركة الطلابية في ثانوية السلط خلال العام الدراسي ١٩٤٠/١٩٤١ وقاد المظاهرات احتجاجًا على النفوذ البريطاني في الأردن وفلسطين، وشارك في مظاهرة التأييد لثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق، وذلك قبل تخرجه من المدرسة بشهر واحد فقط، أي في أيار ١٩٤١م، وانتقلت المظاهرة من السلط إلى عمان، وضمت الطلاب وجماهير واسعة من الشعب، تأييدًا لهذه الثورة.

بعد تخرجه في ثانوية السلط عمل الروسان في سلك التعليم لسنة واحدة فقط إذ عُين معلمًا في إعدادية المدرسة الهاشمية في عمان. لكن الحياة العسكرية استهوته أكثر، فالتحق بالخدمة العسكرية "وكان لأسرته أثر كبير في ذلك، إذ عشقت عائلة الروسان منذ العهد العثماني الحياة العسكرية، وكان لفرسانها الدور المميز في معارك التحرير العربية.

خدم محمود الروسان في مختلف القطاعات العسكرية الأردنية، وكانت الكتيبة الرابعة محطته القتالية في حرب عام ١٩٤٨م، وعُيّن ملحقًا عسكريًا في أكثر من عاصمة أوربية وعربية، وكان مثال الجندي العربي الأردني في ثقافته العسكرية والفكرية والثقافية، وفي الاعتزاز بالانتماء الوطني والقومي، وقد تجلى ذلك في دوره الجهادي في الدفاع عن عروبة فلسطين، فكان كتيبة في رجل

خلال الحرب العربية- اليهودية سنة ١٩٤٨م.

ويمكن الاطلاع على التفاصيل في كتابه "معارك باب الواد واللطرون"، الذي نشر في عام ١٩٤٩م، ولما كان بعيدًا عن مدح نفسه، فقد أثنى على بطولته وشجاعته نخبة من الضباط الذي شاركوه القتال من ضباط الكتيبة الرابعة، وفي مقدمتهم المشير حابس المجالي، والعقيد محمود الموسى عبيدات والقائد عبد الله التل من الكتيبة السادسة.

• حياته الفكرية الأدبية:

يُعد محمود الروسان من الشعراء المعاصرين الذين وخزتهم ضمائرهم تجاه الهمّ القومي وتجاه الهزائم العربية، قال شعرًا قوميًا ثوريًا، وقد تمثلت قومية الروسان بالاعتزاز بها وبشرف الانتماء العربي الذي تعزز بالرسالة المحمدية وبالقرآن الكريم، والشعر الوطني عنده عكس حبه لوطنه ولقوميته، يقول في قصيدة بعنوان:

القومية العربية، وهي في /٤٢/ بيتًا:

ظمئت إلى يوم الفداء جنودها
ومشت إلى ساح الجهاد أُسودها
وتفاخرت بحماتها، وكُماتها
وهفا إليها كالنسيم خلودها
وتضرجت بدم الفوارس أرضها
وتخضبت بلظى النجيع بنودها
هي فوق آفاق الوجود كفرقد
ومن الخليج إلى المحيط حدودها
فإذا جُهِلت فإن أمة يعرب
عصب الحياة بأرضها، وكبودُها
ويزينها نورُ الإله، وآيهُ
وكتابُهُ وإلى الشموخ يقودها
سجد البيانُ لكل حرف أبلج
ومن الجلالِ سَمَّتْ وأزهر عُودُها
وتحدثت لغةُ السماء بوحيها
عربيةً فصحى ونحنُ وريدها
أعظم به وحيًا رعاهُ محمدٌ
ابنُ العروبة، رمزها وعميدها

ويتألم محمود الروسان لما حلّ بهذه الأمة من نكبات وويلات في تاريخها الحديث، وظل عند ثوابته في الدفاع عن أمته، يراهن على تحريرها، بكل الوسائل الممكنة، وكان يرى أن لا سبيل لذلك إلا بالسيف والقلم، ويعاتب الدهر على صمته لما حلّ بهذه الأمة، وهي خير أمة أخرجت للناس:

يا دهر ما لك هل تدري بنكبتنا
أم أنت يا دهر قد ينتابك الصمم
لا شيء يا دهر في الدنيا سيقهرنا
ما دام للعرب في أمجادهم شيم
سنحمل الجرح مهما راح يؤلمنا
حتى يرفرف في عليائه العلم

وسوف نبني بأمر الله وحدتنا
فالحق منتصر والظلم منهزم

وينتقل من النكبة الأولى سنة ١٩٤٨م، إلى النكبة الثانية سنة ١٩٦٧م، من ضياع القدس وخواصرها إلى ضياع سيناء والجولان، ولكنه لم يفقد الأمل على الرغم من حجم المؤامرة، وعلى الرغم من الاستراحة الطويلة للعرب، إلا أن التاريخ سيعيد نفسه لا محالة، يقول:

مزقًا غدونا واستبد بنا العدا
وغدا العدا في أرضنا حكاما
وتقطعت أوصالنا وتجزأت
أوطاننا وغدا التراث حطاما
وا حسرتاه أنحن أمة يعرب
تاج الوجود إذا الوجود تسامى
أم نحن في ركب الزمان بقية
من أمة نقضي الحياة نياما

الوحدة العربية من أعز مطالب الشعب العربي في أقطاره كافة.. لأن هذا المطلب يحقق له القوة والمنعة والاحترام والوقوف في وجه أعداء الأمة العربية، لذا ما انقطعت يومًا مطالبة الشعب لحكامه بتحقيق هذا الحلم منذ انفرط عقد الأمة العربية وتجزأت إلى دويلات وحدود مصطنعة، وبالتالي تكالبت عليها قوى الشر والعدوان تريد اقتطاع أجزاء منها مستغلة ضعف هذه الأمة المفككة الأوصال، التي لا حول لها ولا قوة، لذا تنادى أبناء الشعب العربي لإقامة وحدة بين أقطار الأمة... ومن كالشعراء؟ فهم طليعة الجيل وأكثرهم وعيًا قوميًا وحماسة يتأجج في نفوسهم الملتهبة، وقد عبّر الشاعر المجاهد محمود الروسان عن ذلك عندما قال:

فعروبتي بالشمس تستر وجهها
عند الغروب وكل صبح تشرق
وإذا انطوى بيد الخيانة بيرق
سرعان ما يعلو ويخفق بيرق
فيها ببغداد الأبية فتية
كالشام في يوم الوغى لا تسبق
فيها الجزائر والفداء وغزة
وابن المخيم والإبا والجرمق
فيها بأردن الصمود إرادة
وهناك فيها للبطولة طبرق

ويتحقق حلم المناضل الشاعر محمود الروسان بوحدة عربية بين القطرين الشقيقين مصر وسوريا في شباط من عام ١٩٥٨م، ومن كان كالشاعر المجاهد يدرك أهمية الوحدة في تحقيق القوة والمنعة لمنع الاستعمار من إذلال أمة العرب وتدنيس أرضها.. لقد بارك الروسان هذه الخطوة الوحدوية، متفائلاً بمثل هذه الخطوات "إن فيها بصيصًا من أمل التحرير للإرادة العربية، وإن فيها وعدًا بوثبة عربية".

وعندما تفاوضت القيادات في سوريا

والعراق على مشروع الوحدة بين القطرين، بارك الروسان كل خطوة وحدوية بين قطرين عربيين، فقال في الوحدة المقترحة، وقبل أن ينجز مشروعها في عام ١٩٧١:

قف للعروبة إجلالاً وإكبارا
واجعل ذرى المجد في أعيادها دارا
وقل مشى العرب عين الله تحرسهم
وقرروه مع التاريخ مشوارا
فتلك بغداد قد هبت مفاخرة
تعانق الشام أحرارًا وثوارا
ومن ببغداد من أعماقهم هتفوا
لبيك يا شام يا أحلى الحمى دارا
والشعب هلّل للقيا وباركها
وصفّق الشعب بل في دربها سارا
فامسح دموعك يا ابن العرب إن غدا
يومٌ من الخلد يحمي الأرض والدارا

كان المجاهد والأديب والشاعر محمود الروسان يردد في أحاديثه ومجالسه، عبارة المفكر العربي نجيب عازوري الخاصة بالصراع بين العرب واليهود وهي: "هناك حادثان هامان من طبيعة واحدة ولكنهما متعارضان. وهما يقظة الأمة العربية، والجهد اليهودي الخفي لإنشاء ملك إسرائيل القديم من جديد، وعلى مقياس واسع. إن مصير هاتين الحركتين هو الصراع المستمر، إلى أن تغلب إحداهما الأخرى. ومصير العالم كله منوط بالنتيجة النهائية لهذا الصراع، بين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متعارضين".

ويكاد ذكر فلسطين لا يغيب عن ذاكرة الروسان، فهي في وجدانه ولسانه طيلة حياته، فقد شارك في معاركها عام ١٩٤٨م، وشاهد بأم عينيه أحداثًا فلسطينية مهمة. فرأى اندلاع الثورة الفلسطينية في الفاتح من عام ١٩٦٥م، فانعكس ذلك في شعره ليجد فيه روح القوة والتمرد وجذوة الكفاح، ويصرخ مع صرخة القدس لإنقاذ الأقصى وكل المقدسات العربية إسلامية ومسيحية، يقول:

العرب تحمل هذا الجرح صامتة
فكيف تصبر من آلامه العرب
فلا هم اتحدوا بل أصبحوا فرقًا
ولا تفجر صوت الثأر والغضب
ماذا دهى العرب هل ترضى كرامتهم
بالاحتلال فيحمي القدس مستلب
والقدس تصرخ والأقصى يناشدنا
أن نستفيق ونحميه كما يجب

وتبقى القدس في ذاكرته، فهي الرئة التي يتنفس منها، يعرفها جيدًا، بحاراتها وناسها، وشموخ أسوارها، ومآذن مساجدها، وأجراس كنائسها، ويعرف كم قنبلة ورصاصة أطلقها دفاعًا عن اسمها وتاريخها وعروبتها، ويعرفه جيدًا شرتوك، ودايان، وشامير، وبيغن، فهو الفارس الذي أخافهم في اللطرون وباب الواد، وأسر

العشرات من جنودهم، وتشهد (خو) على إذلال أسراهم ودموعهم، ويقول وقد انعكس حبه لبيت المقدس:

هواها أشغل الدنيا هياما
وهزّ الأرض فاهتزت يداها
عشقناها وهام العرب فيها
ومن بالله نعشقه سواها
وهل بالدمع نلبسها رداء
من الإجلال أو نحمي رداها
فهبوا يا حماة المجد هبوا
وسيروا كالصواعق في رباها

كان محمود الروسان، الابن الشرعي لكل مدينة وقرية ومزرعة في الوطن العربي، فجال في شعره معظم العواصم العربية، وتألم كثيرًا للحرب الأهلية اللبنانية، وحزن حزنًا عميقًا على حرق بيروت بمدافع أهلها، فيقول:

بيروت أضحت بالمدافع تحرق
وقلوبنا في كل يوم تصعق
بيروت صارت للمذابح مرتعًا
وفم الجريمة ويحه يتشدق

ماذا سيقول محمود الروسان لو شاهد وعاصر تدمير بيروت على يدّ الصهاينة في تموز ٢٠٠٦م؟؟ وماذا سيقول بالانتصار التاريخي الذي حققته المقاومة اللبنانية على جنرالات الجيش الصهيوني؟؟

- **مؤلفات الروسان:**

- **الشعر**

١- على دروب الكفاح، نشر عام ١٩٦٠م.

٢- عصارة روح إلى عائدة، نشر عام ١٩٨٠م

٣- دموع وأناشيد إلى عائدة، نشر عام ١٩٨٠م.

- **الدراسات:**

١- الدروس الحربية لضباط الجيش العربي الأردني، نشر عام ١٩٤٦م.

٢- معارك باب الواد واللطرون، نشر عام ١٩٤٩م.

- **الترجمة:**

فلسطين وتدويل القدس (باللغة الإنجليزية)، عام ١٩٦٥م، وهي رسالته لنيل شهادة الماجستير.

توفي المناضل محمود الروسان عام ١٩٨٠ بعد أن فُجع بوفاة ابنته الشابة عايدة، التي حزن لموتها حزنًا شديدًا وخلدها في ديوانين من دواوينه الشعرية. وقد ترك من بعده إرثًا ثقافيًا وفكريًا وأدبيًا يستحق التقدير والإعجاب.

ميشيل النمري: من مبدعي اربد وشهدائها



محمد المشايخ *

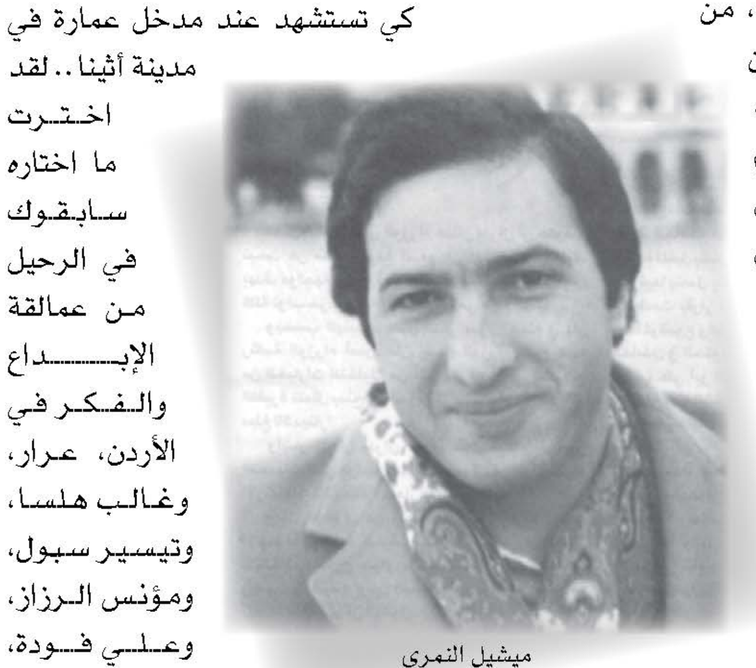
ولد ميشيل النمري في قرية "صمد" بمحافظة إربد، وكان ناشطًا طلابيًا بارزًا منذ دراسته الإعدادية والثانوية، وتابع هذا الدور خارج المملكة، وخاصة في بيروت، حيث ساهم في توحيد الحركة الطلابية هناك، وتسلّم مسؤولية الإعلام في المكتب التنفيذي للاتحاد العام لطلبة الأردن، وعاد إلى المملكة بعد حرب تشرين أول ١٩٧٣، وساهم في إنشاء رابطة الكتاب الأردنيين وعضوية هيئتها الإدارية، وعمل في الصحافة الأردنية، ثم عاد مرة أخرى إلى بيروت، ولمع بقوّة في العمل الصحافي دون أن ينسى واجباته الوطنية والعمل السياسي، فأنشأ لجان الدفاع عن الحريات الديمقراطية في الأردن، فكان من روّاد العمل من أجل تحوّل ديمقراطي سلمي في الأردن، وخلال حصار بيروت عام ١٩٨٢ ، كان ميشيل إعلاميًا مقدامًا على خطوط النار مع المقاومين، وعمل مع إعلام المقاومة الفلسطينية، وشارك في إنشاء وتحرير "صوت المعركة" ، التي لعبت دورًا مهمًا خلال فترة الحصار، وبقي ميشيل في بيروت بعد الاجتياح صحافيًا جريئًا ومميزًا، وبعد أكثر من مشروع صحافي، ولدت فكرة إصداره "النشرة" من قبرص، منبرًا متخصصًا في خدمة قضايا التحرر الوطني والحريات الديمقراطية، غير أن رصاصة غدر

* كاتب وباحث – الأردن.

اغتالته في أثناء دخوله لمكتبه بتاريخ ١٩٨٥/٩/١٨.

كان شهيدنا، من أكرم المفكرين والصحفيين، ومن أكثرهم سخاء في عطائه اليومي الوطني والحر والجريء، سواء داخل نطاق أداته الإعلامية الحادة على أعداء الأمة التي أسماها "النشرة"، أو خارجها من خلال المنابر الفكرية والإعلامية المتاحة له، حتى فضَّل التغريد خارج السرب، وضحّى من أجل مبادئه بكل المناصب، وبكل الإغراءات المادية والمعنوية، حتى الشهادة.

ولنا في هذا المقام أن نصرخ بملء أفواهنا: رفيقنا ميشيل، ما الذي جعلك تغادر فضاء مكان ولادتك الأول: القرية الوادعة والواسعة والمعطاءة "صمد" في محافظة إربد، كي تستشهد عند مدخل عمارة في مدينة أثينا.. لقد اخترت ما اختاره سابقوك في الرحيل من عمالقة الإبداع والفكر في الأردن، عرار، وغالب هلسا، وتيسير سبول، ومؤنس الرزاز، وعلي فودة، وإدوارد حداد، ومحمد القيسي، وأسد محمد قاسم، في شعارهم الكبير: "إن من يحب وطنه، يحب جميع الأوطان".


ميشيل النمري

تحل ذكرى استشهاد ميشيل النمري في وقت يحتدم فيه الصراع ضد أعداء هذه الأمة في العراق وفلسطين، ولهذا فإننا نفتقده،

ونفتقد قلمه الجريء، باعتباره السيف الذي كان مسلطًا على رقاب أعداء الأمة، وباعتباره السوط الذي كان يجلد الخونة والمتآمرين، نفتقده، لكنه يدفعنا باستشهاده، لأن نواصل نهجه، كي نضمن لأنفسنا، ولأجيالنا المقبلة، الحياة الحرة الكريمة.

لقد دأبت رابطة الكتاب الأردنيين ،تأكيدًا لاتجاهها الوطني، ومنحاها القومي والإنساني، على أداء واجبها إزاء أي قضية تتعلّق بسيادة الوطن وحرية الأمة، وذلك منذ تأسيسها في أيار عام ١٩٧٤. وباعتبار الرابطة، منارة من منارات الثقافة والإبداع في الوطن العربي، فقد غدت مع الأيام، المؤسسة الثقافية الأولى، الديمقراطية في ممارساتها، والمستقلة تمام الاستقلال في قراراتها. وهي لم تصبح كذلك، لولا أن أعضاءها موحدون ، رغم انتمائهم لأكثر من اتجاه ثقافي، ولعدة أطياف سياسية، الأمر الذي مكنها من تجسيد الوحدة في التنوع، والاتفاق في الاختلاف أيضا.

هذه الرابطة التي تضم بين أعضائها كوكبة من أعلام الثقافة العربية، وكوكبة أخرى من أبرز المبدعين، لتفخر بأنها قد قدّمت كوكبة من الشهداء، الذين كان في مقدّمتهم الصحفي والمفكر ميشيل النمري، عضو الرابطة، بل إنّه الركن المهم في هيئتها الإدارية المنتخبة في العام ١٩٧٥؛ إذ شغل في ذلك العام منصب أمين الشؤون الداخلية فيها، وتابع العمل لسنوات لاحقة خارج تلك الهيئة في مجال إدارة الرابطة، حتى سفره خارج المملكة، ليجمع بين المقاومة بالفعل، والمقاومة بالكلمة الحرة الشريفة، حتى آخر قطرة من دمه الطهور.

وقد خصصت رابطة الكتاب الأردنيين عام ١٩٩٤، جائزة حملت عنوان "جائزة ميشيل النمري للحريات الديمقراطية"، وممن فازوا بها الأستاذ بهجت أبو غربية، والدكتور نصر حامد أبو زيد، كما أقامت الرابطة أكثر من حفل في الذكرى السنوية لرحيله، كان آخرها في مركز الحسين الثقافي بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٨.

متحف دار السرايا:
الآثار تروي تاريخ إربد الحضاري

د. خالد الناشف *

يقع متحف دار السرايا، فوق التل الأثري المعروف باسم تل إربد. وقد جاء هذا المتحف ليتوج جهودًا مكثفة، قامت بها دائرة الآثار العامة لتحويل المبنى المعروف باسم دار السرايا إلى متحف آثاري يخدم مواطني محافظة إربد والمملكة وضيوفها من السواح. وابتدأت هذه الجهود بأعمال ترميم واسعة أجرتها الدائرة بعد استملاك المبنى عام ١٩٩٤. حتى جاء بصورة تضاهي أفضل المقاييس المعروفة في تنظيم المتاحف.

في الأصل كان مبنى دار السرايا قلعة بناها العثمانيون في منتصف القرن التاسع عشر فوق الطرف الجنوبي لتل إربد، وفي عام ١٣٠٤هـ ١٨٨٦م، أعيد بناء القلعة لتصبح مقر الحكومة، أو السرايا بالتركية. وتشبه في مخططها القلاع والخانات التي أسسها العثمانيون على درب الحج الشامي، أي مجموعة من العقود تحيط بساحة مكشوفة. الوظيفة الأصلية للمبنى كقلعة أو خان يؤكدها وجود مذاود في العقدين الغربيين، الأول والثاني، ويبلغ مجموعها ١٢ مذودًا. وقد مرت السرايا بالعديد من التعديلات وأضيفت إليها وحدات وجدران أثناء استخدامها كمخفر للشرطة وسجن. واليوم يتألف الطابق الأرضي من ستة عقود وصالة وعشر غرف ومستودع، ويتكون الطابق العلوي من ١٤ غرفة



* باحث وأكاديمي - الأردن.

مختلفة المساحات. وقد تحولت الساحة إلى حديقة زرعت فيها شجرة زيتون ونباتات وزهور ووضعت فيها أيضًا نافورة مياه.

الجزء الأكبر من معروضات المتحف جاء من تنقيبات أجرتها في المحافظة دائرة الآثار العامة، أو البعثات الآثارية الوطنية أو الدولية، وبهذا تكون القطع المعروضة موثقة ومصدرها محدد تمامًا، بالإضافة إلى مواصفات دقيقة للسياق الذي كان يحتويها في الموقع الأثري. وتنفرد محافظة إربد في جميع مراحل التطور الحضاري الأردني ممثلة في مواقعها الأثرية، ابتداء من العصر الحجري القديم وانتهاء بالفترة العثمانية.

● **قاعات العرض**

تتألف قاعات العرض في متحف دار السرايا من سبع قاعات تشكل ست منها عقود المبنى العثماني الأصلي. وقد وُزعت المعروضات في ثلاث قاعات كبيرة حسب التسلسل الزمني للمراحل الحضارية للآثار الأردنية المعتمدة عالميًا. إلى جانب ذلك هناك ثلاث قاعات أفردت لمواضيع خاصة كالتعدين والمنحوتات والفسيفساء، وقد وُزعت المعروضات على أربع عشرة خزانة كبيرة بالإضافة إلى خزائن خاصة احتوت على الأختام والحلي ورقيمان طينيان، وفي قاعة الفترات الإسلامية خُصص ركن عرضت فيه نماذج من النقوش الثمودية والصفائية والنبطية والعربية.

من المعروف أن الفخار من المواد التي لا تتآكل أو تتحلل مع الزمن، وقد بقيت محفوظة منذ بدايات استخدامها قبل حوالي ثمانية آلاف عام وحتى يومنا هذا، ولهذا تُشكل معروضات المتحف من القطع الفخارية النسبة الأكبر، بالإضافة بالطبع إلى القطع المصنوعة من حجارة مختلفة كالصوان والحجر الجيري، إلى جانب ذلك يشمل المتحف قطعا مصنوعة من العظام والزجاج ويبلغ مجموع القطع المعروضة ٦٠٠ قطعة. وفي الساحة قطع كبيرة من توابيت وبوابات بازلتية أو حجرية ومعصرة زيتون وعدد من التيجان. والكثير من هذه القطع جاء من إربد القديمة نفسها ورآه المهندس الألماني شوماخر عندما زار إربد عام ١٨٨٥.

تحتوي قاعة العصور القديمة على معروضات تعود إلى العصر الحجري القديم وهو أقدم المراحل الحضارية في الأردن وامتد منذ مليون سنة حتى ١٦٠٠٠ ق.م. ففي بداية هذه الفترة شكل وادي الأردن

في الشمال (جسر بنات يعقوب، العبيدية) ممرًا لعبور الإنسان من إفريقيا إلى أوروبا وآسيا. كان الطعام الرئيسي يتكون من العنب والزيتون والعناب والكستناء غير أن قائمة الطعام احتوت أيضًا على لحوم بعض الحيوانات كالأرانب. وقبل حوالي ٧٠٠ إلى ٤٠٠ ألف سنة عاش الإنسان في المشارع بالقرب من طبقة فحل مخلفًا أدوات حجرية تعدّ الأقدم في الأردن. وقد تعددت استخدامات هذه الأدوات، وخاصة في صيد الحيوانات وفصل اللحم عن العظم. استغرقت هذه المرحلة من التطور الحضاري فترة طويلة نسبيًا بالمقارنة مع مراحل التطور اللاحقة، غير أن الإنسان عرف آنذاك النار وبدأ يدفن موتاه محققًا بذلك أقدم الممارسات الإنسانية. والقطع المعروضة في المتحف من هذه الفترة تعود إلى ٣٠٠ ألف إلى ٢٠٠ ألف سنة مضت، وهي قطع نادرة عثر عليها في المكان الذي صُنعت فيها.

● **قفزة تاريخية**

الفترة الانتقالية بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث (١٦٠٠٠- ٨٥٠٠ ق.م) تشكل قفزة نوعية في التطور الحضاري الأردني، وعُدّ هذا التطور بحق ثورة تضاهي الثورة الصناعية في العصر الحديث.

وتعدّ فترة نشوء المدن (٣٢٠٠ - ٢٠٠٠ ق. م) إحدى الفترات الحاسمة في التاريخ الحضاري الأردني. فقد استدعت زيادة عدد السكان وتوسع الإنتاج وظهور طبقة واسعة من المهنيين والعمال في القرى، تطور وسائل الحماية من الأعداء، كبناء أسوار وأبراج حول مواقع الاستقرار. وهكذا نشأت المدن التي أصبحت تستخدم أيضًا عند الضرورة لإيواء الفلاحين القاطنين في المنطقة المحيطة بالمدينة. وقد بلغت مساحة المدينة التي تمثلها خربة الزيرقون إلى الشمال الشرقي من إربد حوالي ثمانين دونما وكان في أسوارها ثلاث بوابات على الأقل. أما تل الساخنة إلى الجنوب الغربي من إربد فهو إحدى المدن التي كانت تقع بالقرب من نقاط العبور في وادي الأردن، وبهذا أدت دورًا حيويًا في التجارة مع فلسطين إلى الغرب. كانت المنتجات الزراعية تخزن في مخازن خاصة تتبع القصر. وتمثلت القوة الاجتماعية في هذا العصر بالعائلة التي كان أفرادها يديرون مرافق الإنتاج ويشرفون عليها.

لهذا كان القصر أشبه بمركز إداري استقرت فيه العائلة المهيمنة في المدينة لتشرف على استلام المنتجات الزراعية وتخزينها وإعادة توزيعها. وفي الخزانة المخصصة لهذا العصر نماذج من أباريق نادرة متعددة المصبات من تل الساخنة.

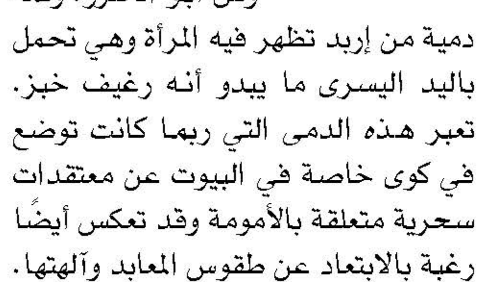
● **تأثر بحضارات أخرى**

عرفت الفترة الواقعة بين ٢٠٠٠ إلى ١٥٥٠ ق.م بناء مدن تحت تأثير حضارتي مصر وبلاد ما بين النهرين. وتجسد

التطور الجديد في محافظة إربد في مواقع عدة، من بينها تل إربد، تل الفخار، طبقة فحل، تل السعيدية، تل أبو الخرز. واستفاد السكان من تقنيات جديدة في التحصينات، ربما للوقوف أمام تهديدات إقليمية. فقد بنيت مدن هذا العصر على الهضاب وقُوّيت أسوارها بمنحدرات ترابية مرصوصة طليت بقصارة سميكة سطحها ناعم لمنع التسلق (تل إربد، طبقة فحل). كما انتشرت بكثافة المنتجات البرونزية كالخناجر ورؤوس الفؤوس والدبابيس. ودخلت على صناعة الفخار العجلة السريعة وأنتجت أشكال جديدة جذابة، وقد عرضت في الخزانة المخصصة لهذه الفترة أوان مميزة من طبقة فحل صُبغت بلون أسمر داكن فوق خلفية فاتحة. كذلك هناك كسرة من جرة تحمل شكل وجه بشري معبر، وعلى الأغلب أن الجرة قد استخدمت في الطقوس الدينية.

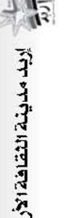
قرر المسؤولون عرض نشوء الكتابة المسمارية في خزانة خاصة عُرض فيها رقيمًا طبقة فحل. وقد عرضت في هذه الخزانة أيضًا نماذج للرموز الطينية التي شكلت بدايات الخط المسماري الذي ظهر في جنوب العراق. وللمرة الأولى في الأردن تشرح عملية نشوء الكتابة والعلامات المسمارية بأسلوب مبسط وواضح وباللجوء إلى مقارنات مستمدة من التراث الشعبي المحلي.

عرضت المكتشفات التي تعود إلى نهاية الألف الثاني والنصف الأول من الألف الأول ق.م في خزانتين كبيرتين ضمت قطعًا مميزة ونادرة جاءت من طبقة فحل وتل السعيدية وتل الحصن ومن تل إربد نفسه. وقد انتشرت في هذه الفترة دمى نساء عاريات ترفع الذراعين باتجاه الصدر كنماذج من فحل وتل السعيدية وتل أبو الخرز، وثمة دمية من إربد تظهر فيه المرأة وهي تحمل باليد اليسرى ما يبدو أنه رغيف خبز. تعبر هذه الدمى التي ربما كانت توضع في كوى خاصة في البيوت عن معتقدات سحرية متعلقة بالأمومة وقد تعكس أيضًا رغبة بالابتعاد عن طقوس المعابد وآلهتها.



● صناعة النحاس والحديد

كان الأردن إحدى الدول القليلة في المنطقة التي كانت تقوم بصناعة النحاس والحديد مثلها مثل قبرص وتركيا وعُمان وفلسطين، لهذا رأى مخططو متحف دار السرايا تخصيص قاعة يعرض فيها موضوع التعدين في الأردن، خاصة وأنه كثيرًا ما تسفر التنقيبات في محافظة



إربد عن قطع برونزية أو حديدية؛ ففي نهاية الألف الخامس وبداية الألف الرابع ق.م تمكن سكان الأردن من صهر فلزات النحاس واستخراج المعدن منه. وفي بداية عصر نشوء المدن (٢٣٠٠-٢٢٠٠ ق.م) استخلص خام النحاس على مستوى واسع وصُهر بدرجات حرارة عالية تصل إلى ١٢٠٠ درجة، ويدل على ذلك البقايا المكتشفة في الكثير من المواقع جنوب الأردن، كآلاف القوالب التي كانت تستخدم لصنع القضبان والأدوات. ومن القطع المميزة في هذه القاعة سيف برونزي عثر عليه في أحد مدافن طبقة فحل وأرخ إلى فترة تأثر فيها الأردن بالحضارات المجاورة (١٥٥٠ - ١٢٠٠ ق.م(للمرة الأولى يعرض في قاعة التعدين الدور المميز الذي أداه الأردن في تعدين الحديد.

فبالقرب من قلعة عجلون (قلعة الربض) الشامخة، وفي الجبال المطلة على وادي الزرقا ودير علا في الغور، انتشرت فلزات الحديد بوفرة. وتشهد على ذلك بقايا الخبث الكثيفة في المنحدرات الجنوبية والشرقية للقلعة وفي عجلون نفسها التي استفاد سكانها من الخبث في تعبيد طرق مدينتهم. ويعود نشاط تعدين الحديد كالصهر وصنع الأدوات الحديدية إلى بدايات الألف الأول ق.م كما تدل على ذلك بقايا هذه الصناعة في تل الحمة إلى الجنوب من دير علا.

استمر تراث تعدين الحديد في الفترات اللاحقة وخاصة الفترة الأيوبية المملوكية، فعندما قرر صلاح الدين الأيوبي بناء قلعة عجلون في هذا المكان تعدى الهدف مجرد صد الأعداء والدفاع، فقد أصبحت القلعة مركزًا حيويًا للتموين وعلى الأغلب أن بعض سراديبها الطويلة والمظلمة كانت تستخدم كمخازن للأخشاب والفحم، وربما فلزات الحديد أو قوالب الحديد الذي كانت عملية تعدينه تتم في المنطقة. ومن هنا كان ينقل الحديد إلى المصانع الكبرى، كدمشق إلى الشمال والكرك إلى الجنوب، لصنع السيوف والدروع واللوازم الحديدية. في قاعة التعدين عرضت نماذج من الأدوات التي كانت تستخدم في صناعة الحديد بالإضافة إلى منتجات حديدية.

- **المنحوتات والفسيفساء**

في المدن المتأثرة بالحضارة اليونانية الرومانية كانت تماثيل الآلهة والأباطرة والأعيان تنتصب في الأماكن العامة كالبوابات والشوارع والحمامات. واتصفت هذه التماثيل بطابع موحد وهو ما يعبر عن شمولية الدولة الرومانية والولاء لها. في هذه الفترة برزت في المنحوتات العناصر الكلاسيكية للتراث اليوناني الروماني وخاصة في المدن العشر كفيلادلفيا (عمان) وأبيلا (قويلبة) وجدارا (أم قيس) وكابيتولياس (بيت راس). وللأهمية التي

تتمتع بها هذه المنحوتات خصصت في متحف دار السرايا قاعة تحتوي على نماذج مختلفة من منحوتات الفترة الرومانية المتأخرة ومن أهمها تمثال الإلهة الحارسة (تايكي) لمدينة جدارا (أم قيس) وهو النموذج الثاني بعد تمثال الإلهة الحارسة لعمان المعروض في متحف الآثار الأردني على جبل القلعة. وقد نحتت تفاصيل تمثال جدارا بعناية فائقة بما في ذلك بوابة المدينة والسور الذي توجت به الإلهة رأسها.

قاعة الفسيفساء هي أيضًا إحدى القاعات المميزة وتعدّ إضافة نوعية جديدة في المتحف. تعود معظم نماذج الفسيفساء في الأردن إلى الفترة الواقعة بين القرنين الخامس والسابع الميلادي.

● **متحف بمقاييس عالية**

وضعت في المتحف شروحات للمراحل الحضارية والمواضيع الخاصة على شكل لوحات إيضاحية فاق عددها خمسين لوحة عُلقت على الجدران الداخلية للمبنى بشكل أنيق ومميز، أما نصوص اللوحات فقد وضعت باللغتين العربية والإنجليزية لتعكس الآثار الأردنية ككل مع إبراز دور محافظة إربد، فجاءت كمقدمة وافية ومركزة في التاريخ الحضاري الأردني كما ينعكس في الآثار ليستفيد منها الجمهور العام والمتخصص على حد سواء. وهناك ثلاث خرائط تعرض المواقع الأثرية في المحافظة حسب الأدوار الزمنية. فالتسلسل الزمني عرضته لوحة اشتملت أيضا على الأدوار الحضارية المقابلة في مصر وبلاد ما بين النهرين.

منذ البداية خطط لمتحف دار السرايا لأن يكون مؤسسة متحفية ذات مقاييس عالية، فشمل إلى جانب قاعات العرض مكاتب إدارية ومكتبة متخصصة في الآثار ومواضيع مرتبطة، وقد تجاوز عدد الكتب في المكتبة ٤٠٠ مجلد. وهناك قاعتان للاجتماعات والمحاضرات ومختبر ترميم ومستودعات. وقد وضعت دائرة الآثار العامة نصب أعينها أن يقوم المتحف في المستقبل بتنظيم نشاطات موسمية، كالمحاضرات في مواضيع تهم المتحف أو معارض خاصة تعرض فيها الاكتشافات الجديدة في المحافظة.

لا يمكن لمتحف أن يكتمل دون دليل يمكن الزوار من الرجوع إليه بعد مغادرتهم للمتحف، وبالفعل أصدرت دائرة الآثار العامة دليلاً أنيقًا بالعربية والإنجليزية عرضت فيه قطعًا مختارة من معروضات المتحف. ويقع الدليل في ٦٤ صفحة من القطع الخاص وبطباعة

فاخرة، ويقدم معلومات وصورًا حول المعروضات، بالإضافة إلى مقال حول الآثار في محافظة إربد، ونبذة حول دائرة الآثار العامة ونشاطاتها، وقائمة بالمراجع يمكن الاستفادة منها للتعمق في موضوع الآثار الأردنية.

● **شواهد على إربد القديمة**

ينفرد متحف دار السرايا بتقديمه للزوار البقايا الفعلية لإربد القديمة التي يعود تاريخ بعضها إلى النصف الثاني من الألف الثاني ق.م. هذه البقايا كشف عنها عندما قرر المسؤولون في المراحل الأخيرة من العمل إجراء تنقيبات في الساحة الداخلية. وقد جاءت فكرة التنقيب نتيجة اعتبارات عدة أهمها التوصل إلى بقايا معمارية أو أثرية من فترات قديمة يكشف عنها وترمم حتى تصبح نماذج لمكتشفات أثرية في تل إربد وهو أحد أهم التلال الرئيسية في شمال الأردن.

من المعروف أن مبنى دار السرايا يقع على الجزء الجنوبي من قمة تل إربد الذي يخفي تحت سطحه بقايا إربد القديمة من فترات مختلفة امتدت من الألف الرابع حتى الألف الأول ق.م، وبعد ذلك بشكل متقطع كالفترة الأموية. ويرى الباحثون أن قمة التل كانت تضم في الألف الثاني ق.م المدينة العلوية أو الأكروبول وهي ما كان يضم القصر والمعابد والمباني الإدارية. وقد قدرت مساحة المدينة العلوية بمائة دونم ويحيط بها سور مزدوج ما تزال بقاياه محفوظة إلى الغرب والشرق من دار السرايا.

لهذا كان من المتوقع الوصول بعد التنقيب مباشرة إلى طبقات أثرية قديمة خاصة وأنه أجريت في قمة التل أعمال تمهيد وجرف واسعة ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر حتى اليوم. وقد يكون هذا الوضع الخاص هو إحدى الحالات النادرة لطبقات أثرية قديمة قريبة من السطح. وهذا يعني أن الوصول إلى هذه الطبقات لا يحتاج إلا لحفر متر أو مترين على أقصى تقدير.

وهذا ما حصل بالفعل؛ إذ بعد حوالي مترين ظهرت أساسات جدار بُني من حجارة بازلتية ضخمة يتراوح عرضها بين ٨٠ إلى ٩٠ سم ويتخلله مدخل بعتبة ويرتبط بأرضية مبلطة بحجارة بازلتية وهي إحدى الأرضيات النادرة التي كشف عنها في الأردن وفلسطين من تلك الفترة. وقد كان الجدار والأرضية عنصرين من مبنى رئيسي في المدينة ربما القصر أو المعبد.

للحفاظ على هذه الآثار المهمة قررت دائرة الآثار العامة الإبقاء عليها وذلك ليتمكن الزوار من معاينتها كشواهد على إربد القديمة وكنموذج حي وتعليمي لتنقيبات أثرية في أحد أهم التلال القديمة في الأردن. وقد أضيفت شروح وتعليقات على الظواهر الأثرية في المربع

كالجدران والأرضيات والطبقات. وقد بلغت مساحة المربع المحفوظ ٢٠ مترًا مربعًا غطي بأكمله بطبقة زجاجية خاصة فوق هيكل حديدي قام بتصميمه وتنفيذه الحرفي عزام حسين جرادات من بشرى. وقد جهز المربع بالإنارة المناسبة لمعاينته ليلاً إذا تطلب الأمر. هذا الانجاز الذي تفتخر به دائرة الآثار العامة هو الأول من نوعه في الأردن.



- **مشروع وطني بامتياز**

نفذت العناصر اللازمة لتأسيس متحف دار السرايا باللجوء إلى وسائل مبتكرة وجديدة ابتداء من كيفية عرض القطع وانتهاء بالإنارة. فالبطاقات المرافقة للقطع صُممت بشكل فني لتحتوي على المعلومات الأساسية بشكل مبسط كاسم القطعة ومصدرها ومرحلتها الحضارية، كذلك رُقّمت القطع في الخزائن بشكل مبتكر، وكما هو معروف لا يمكن الاستغناء عن الترقيم في المتاحف بأي شكل من الأشكال. وكذلك توصل العاملون في المتحف إلى حلول جديدة ومبتكرة لعرض القطع الخاصة كالعملة والأختام. وتعدّ الإنارة أحد أهم عناصر العرض المتحفي، وفي العامين الأخيرين مرّ العاملون في المتحف بعدد من مراحل التجربة والخطأ، وفي النهاية أمكن التوصل إلى الحل الأنسب لعنصر الإنارة وهو ما أضاف جوًا دافئًا ومريحًا على أجواء المتحف.

متحف دار السرايا تأسس بالكامل بالاعتماد على المصادر البشرية والمادية لدائرة الآثار العامة، ولهذا فهو مشروع وطني بامتياز وسيبقى فخر الدائرة لأمد طويل. ولم يكن لهذا المشروع أن ينجز من دون جهود الكثيرين من العاملين في دائرة الآثار العامة ابتداء بأعمال الترميم التي أشرف عليها ونفذها مهندسو الدائرة مرورًا بخبراء الآثار والمتاحف وانتهاء باللمسات الفنية الأخيرة والتشطيبات التي قام بها بنشاط فنيو الصيانة من الدائرة.

وفي النهاية، يتجسد الأردن في متحف دار السرايا بأبعاده الحضارية كما هي ممثلة في محافظة إربد، وللمرة الأولى تعرض في قاعات المتحف تحف ذات أهمية بالغة، محليًا وعالميًا، كأدوات الإنتاج من وادي الحمة.

إن محافظة إربد هي إحدى أغنى المحافظات بالمواقع الأثرية التي تعود إلى جميع المراحل الحضارية، والمستقبل يعد بالمزيد من المكتشفات الأثرية التي ستجد لها موقعًا مميزًا في قاعات متحف دار السرايا لتخاطب أجيال الأردنيين اليوم وعبر السنين القادمة.

بتصرف محدود عن موقع إربد نت

جدارا ...
أم الشعراء والفلاسفة والفنانين

كايد هاشم *

مَنْ يقف على ذلك المرتفع الشامخ إلى الشمال الغربي من مدينة إربد، حيث أطلال "جدارا" القديمة أو "أم قيس" كما تُعرف في الوقت الحالي، ويُلقي ببصره إلى الشمال والجنوب لترتسم أمامه تلك اللوحة الطبيعية البديعة المشرفة على موقع بحيرة طبرية ونهر اليرموك ووادي الأردن وينابيع المياه المعدنية في الحمّة... ثم يلتفت إلى بقايا ذلك المجد الغابر لهذه المدينة المتشحة بسواد حجارتها وزرقة السماء من فوقها وغزل خيوط الشمس الذهبية وخضرة السفوح والوديان المحيطة بها... من يقف ويتأمل يراوده إحساس غامض من سحر الماضي والحاضر... يكاد يسمع معه همس التاريخ بأنه اختار موقعه في هذا المكان ليظلّ حيًّا في النفوس بالعِبر وأبلغ معاني الفن والجمال والحضارة!

لقد حظيت جدارا في تاريخها البعيد باهتمام الأباطرة والملوك وكبار القادة، الذين اعتنوا ببنائها وازدهارها، وعلى قمّتها حلّق الشعراء والفلاسفة والفنانون، الذين أنجبتهم والذين عاشوا بها، بكلّ ما أوحت لهم أسرارها الشجيّة من آيات الإبداع الإنساني!

وقد تروي الكتب وأخبار المؤرخين بعض أشياء عن جدارا، لكن المدينة نفسها ما زالت تختزن في جنباتها حتى يومنا هذا أسرارًا من الروعة والمهابة والجمال تتضاءل في حضرتها أوصاف الكاتبين، ولا تدركها سوى الأرواح في قمة انتشائها!

* * *

يعود ظهور جدارا في عالم الوجود إلى الفترة التاريخية التي أعقبت انقسام إمبراطورية الإسكندر المقدوني بعد وفاته عام ٣٢٣ ق.م إلى أجزاء ثلاثة، تولّى كل جزء منها أحد قوّاده، فكانت مصر وفلسطين وشرقي الأردن والقسم الجنوبي من سورية من نصيب بطليموس، والإمبراطورية الفارسية وسورية إلى شمالي دمشق حصّة سلوقس، وحاز انتغونس - حفيد انتغونس الكبير، أعظم قوّاد الإسكندر - الجزء الأوروبي.

ويبدو أن شمالي الأردن في ذلك الحين كان داخلاً في حوزة السلوقيين، الذين اتبعوا

* باحث وكاتب، عضو هيئة تحرير المجلة - الأردن.

خطّة الإسكندر بحذافيرها في بناء المدن وإسكان اليونانيين بها. ويميل بعض المؤرخين إلى أن آبلا (إربد) وجدارا (أم قيس) وبلا (طبقة فحل) وديون (سوف) بُنيت في تلك الحقبة، أي حوالي النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد.

وفي الحقب التالية استمرَّ بناء المدن ونشر الثقافة اليونانية في المنطقة الشمالية، وكذلك عمون (عمّان)، التي أصبحت جميعها مصطبغة بصبغة يونانية بحتة، وكان الدين واللغة من أهم مظاهرها.

وفي عام ٢١٨ق.م اكتسح بطليموس الثاني، الذي كان ارتقى عرش مصر، جدارا وآبلا، وحاصر عمّان – التي كانت تسمّى حينذاك فيلادلفيا – بقطع المياه عنها حتى استسلمت له، وتم له استعادة شمال شرقي الأردن عام ٢١٧ق.م وظلّ محتفظًا بهذه البلاد حتى عام ٢٠٢ق.م حينما عاد غريمه انتيوخس الثالث، الذي كان الأنباط في الجنوب يساعدونه، إلى غزوها. وفي عام ١٩٧ق.م عُقد الصلح بين الملكين، الذي بموجبه احتفظ انتيوخس بسورية وفلسطين.

بعد هذا الصلح أخذ اليهود يتسللون إلى المنطقة، التي عاشت الكثير من الصراعات والحروب الطويلة بين هؤلاء وسكان البلاد، أسفرت عن خراب المدن ودمارها وانتشار الفوضى والغزو، لاسيما في الشمال، ومنها جدارا التي تعرَّضت لحصار دام عشرة أشهر من جانب جيش إسكندر جانوس خليفة يهوذا – بعد وفاة الأخير عام ١٠٣ ق.م، وأعقب الحصار فتحها وهدمها.

ظلَّت البلاد في حالة من الاضطراب وانعدام الاستقرار حتى بداية العصر الروماني حينما سار القائد بومبي بجيوشه إلى سورية وفلسطين ففتحهما وأعاد إليهما الأمن والنظام، وكان من أهم أعماله التي اعتنى المؤرخون بذكرها أن أعاد بناء جدارا، ثم منح المدن اليونانية بشرقي الأردن استقلالاً ذاتيًا، بمقتضاه يكون لكل مدينة مجلس وإدارة خاصة يخوّلانها الحق في تصريف شؤونها الداخلية وإصدار النَّقد، ما يعدّ بداية ما عُرف باسم (الديكابوليس) أو حلف المدن اليونانية، وقد كان تحالفها قائمًا على التآزر مع بعضها بعضًا في شؤون الدفاع والتجارة، فيما تخضع للحاكم الروماني في سورية في المسائل الخارجية المتعلقة بمصالح الإمبراطورية الرومانية.

تألف هذا الحلف عبر مراحله التاريخية من المدن الآتية على ما جاء في كتاب "تاريخ شرقي الأردن وقبائلها" لفردريك ج. بيك، ومن تعريب بهاء الدين طوقان:

- سايثوبوليس (بيسان)
- بلا (خربة فحل)
- جراسا (جرش)
- جدارا (أم قيس)
- هبوس (قرية فيق بسورية)
- ديون (مجهولة، وقد تكون سوف، والبعض يقول إنها الحصن)
- رفانا (يظن أنها تل شهاب)
- كناثا (قنوات في جبل العرب)
- فيلادلفيا (عمّان)
- دمشق
- آبلا (إربد)

- كابتولياس (بيت راس)
- أدرعي (درعا)
- بصرى (بصرى أسكي شام)

أما جدارا فقد عدّها القدماء لجمال موقعها وعمرانها مكانًا مرغوبًا للسكنى ودعيت (كلونيا فالنتيا)؛ إذ اشتهرت بحماماتها الفاخرة وينابيعها المعدنية وحُسن عمارتها من مسارح وهياكل ومعابد وسواها، عدا نظافتها وطيب هوائها. وكانت من أعظم تلك المدن المعبِّرة عن ازدهار الثقافة والفنون اليونانية والرومانية، ورُقيّ المدنية بما أُقيم فيها من معاهد علم مثّلت تفاعل الحضارتين الإغريقية والشرقية، ومنها خرج رجال عظام أمثال: فيلوديمس الأبقوري المعاصر للخطيب المشهور شيشرون، وميلاجر الشاعر الهجّاء، ومنيبوس الفنان، وثيودورس الخطيب أستاذ طيبريوس.

وفي القرن الأول قبل الميلاد انجبت جدارا فيلسوفًا هجّاءً اسمه "منيب"، اشتهر بسخريته وتهكمه اللاذع، وقد ألَّف ملهاةً قلَّد فيها هوميروس، وكتب رسائل وضع فيها الآلهة على المسرح، كما ألَّف (١٣) أهجية نثرية ممزوجة بالشعر، نشر بعض أجزائها بعد العثور عليها الكاتب الفرنسي Varron بعنوان "أهاج منيبية". وكان منيب يعلِّم في مدينته مبادئ الفلسفة الكلبية، ما جعله يثري من مهنته هذه بعد أن كان في مطلع حياته قنًا، لكن لصوصًا سلبوه كل ما يملك فأصابه اليأس ولجأ إلى الانتحار.

وتذكر المصادر التاريخية - بحسب ما ينقله كتاب "دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم" لسعد صائب - شاعرًا من جدارا اسمه "ملياغروس" (حوالي ١٤٠-٦٠ق.م)، وُلد فيها وأمضى حياته في صور، وله ديوان شعر باليونانية عنوانه "الإكليل". وملياغروس هو الذي واجه كبرياء أهل اتيكا في اليونان بمقولته المأثورة "ماذا يضيرني إن كنت سوريًّا!.. ألا تشرق الشمس على جميع العالم؟".

ويذكر يعقوب العودات "البدوي الملثم" (١٩٠٩-١٩٧١) في كتابه "أطلال جرش" أن السيد المسيح عليه السلام زار جدارا وبشّر برسالته في بيرية، وفيها شفى المجانين من الأرواح الشريرة، كما تروي كتب التاريخ أن تلميذه بطرس الرسول قَدِم إليها أيضًا مبشرًا وداعيًا لدين النصرانية.

ولم يغب ذِكر هذه المدينة في كتب العرب، فقد أورد ياقوت الحموي في "معجم البلدان": "جدر قرية في الأردن". ومما يرويه المؤرخون أن حسان بن ثابت زار الكاهن سطيح، الذي يقال أنه كان بشَّر ببعث النبي (صلى الله عليه وسلم)، في سفوح جبال أم قيس، بعد أن زار الراهب بحيره في دير هند ببصرى. وزار هذا الكاهن العجيب من العرب أيضًا أمية بن أبي الصلت وأبا سفيان بن حرب. ويُقال أن أمية تعرَّض لضرب مبرح من عجوز جارية كانت تقيم في الكهف اسمها "رجيمة"!

يقول عالم الآثار البريطاني لانكستر هاردنج في كتابه "آثار الأردن"، الذي ترجمه المؤرخ سليمان موسى: إنه لم يبق من أمجاد جدارا "سوى مسرحين صغيرين بُنيا من الحجارة السوداء وساحة كبيرة تتناثر فيها الحجارة المتساقطة وقواعد الأعمدة وبعض الأضرحة المنحوتة في الصخور. وليس واضحًا كيف

صارت إلى كل هذا الخراب، لأنه لم تنشأ بقربها خلال الألف سنة الماضية مدينة أو بلدة يمكن أن تنقل حجارتها وتستعملها للبناء. أضف إلى هذا أنها تقع على هضبة مرتفعة تحيط بها المنحدرات العميقة من كل جانب عدا الجانب الشرقي..".

وكان الشيخ حمزة العربي (١٨٩٣-١٩٦٢) زار "أم قيس" برفقة الأمير -الملك- عبد الله الأول بن الحسين عام ١٩٤٢، ووصفها في كتابه "جولة بين الآثار"، وقال: إن الإنكليز "اتخذوا فيها ملاجئ ومستشفيات تحت الأرض (إبان الحرب العالمية الثانية) نقروا لها في الصخر من الجبل، وجعلوا فيها حجرات عديدة وممرات بين الحجرات يُنزَل إليها بدرج منحوت، واتخذوا لها نوافذ يدخل لها مِنها الضياء من فوق وهي واسعة ومستيرة... وقد يمر بهذه الملاجئ التي هي سراديب مَنْ لا خبرة له بها فلا يهتدي إليها ولا يعرفها لأنها نُقرت بصورة خفية ليس لها معالم على وجه الأرض؛ لتخفى على طائرات الأعداء..".

والمعروف أن "أم قيس" ارتبط ذكرها في تاريخ الأردن الحديث بما سمي "معاهدة أم قيس"، التي وقّعها زعماء وشيوخ قضاء عجلون يوم ٢ أيلول ١٩٢٠ مع المعتمد السياسي للحكومة البريطانية الميجر سمرست (اللورد رجلان فيما بعد). وبموجب هذه المعاهدة تألفت حكومة عجلون المحلية، بعد عودة الشيوخ إلى إربد، برئاسة الزعيم علي خلقي الشرايري، ذلك قبل نشوء الإمارة الأردنية عام ١٩٢١.

مصادر ومراجع

١. آثار الأردن، لانكستر هاردنج، تعريب: سليمان موسى، ط٤، وزارة السياحة والآثار، ٢٠٠٤.

٢. أطلال جرش: فصول في التاريخ والآثار والأدب، للبدوي الملثم (يعقوب العودات)، تحقيق وتقديم: أ.د. صلاح جرار وكايد هاشم، جامعة جرش الأهلية، جرش، ٢٠٠٦.

٣. بلدانية فلسطين العربية، الأب ا.س مرمرجي الدومنكي، وقف عليها وفهرسها: محمد خليل الباشا، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧.

٤. تاريخ الأردن في القرن العشرين ١٩٠٠-١٩٥٩، منيب الماضي وسليمان موسى، ط٢، مكتبة المحتسب، عمّان، ١٩٨٨.

٥. تاريخ شرقي الأردن وقبائلها، فردريك ج. بيك، تعريب: بهاء الدين طوقان، ط. الدار العربية للتوزيع والنشر، عمّان.

٦. جولة بين الآثار، الشيخ حمزة العربي، تحقيق وتقديم ودراسة: د. تركي أحمد المغيض، ج٢، اللجنة الوطنية العليا لإعلان عمّان عاصمة للثقافة العربية ودار الكندي، إربد، ٢٠٠٢.

٧. دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم، ترجمة وإعداد: سعد صائب، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٤.

٨. قاموس الكتاب المقدس، تحرير: د. بطرس عبد الملك، د. جون الكساندر طمسن، إبراهيم مطر، ط١٠، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٥.

٩. معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط. دار صادر، بيروت.

إربد في شعر عرار

د. محمد عبد الله القواسمة*





مصطفى وهبي التل (عرار) شاعر مكاني شكل المكان مفردة من مفرداته الشعرية، حتى إنّه تفوق في ذكر الأمكنة على أجداده شعراء الأطلال، أمثال زهير بن أبي سلمى، وامرئ القيس، وطرفة بن العبد، والنابغة الذبياني وغيرهم، لقد اختص شعره بذكر المكان الأردني؛ ووردت فيه أسماء المدن والقرى والسهول والوديان والجبال والأنهار، فمن المدن نذكر عمان والزرقاء ومأدبا ومعان، ومن الجبال وردت أسماء الشراه ومؤاب وشيحان، ومن السهول: الحصن وعبين، ومن الوديان: اليابس والحور وعربة.

* روائي وناقد وأكاديمي – الأردن.

ولمّا كان عرار من الشعراء الذين نجد في شعرهم جوانب كثيرة من سيرتهم الذاتيّة، ولمّا كانت مدينة إربد كما هو معروف هي المدينة التي ولد فيها الشاعر عام ١٨٩٩م وترعرع، فلا غرابة أن يترنم بذكرها من بين الأماكن التي عايشها، بل كانت وحدها سيدة الأماكن الأردنية التي سكنت وجدان الشاعر، وعاشت معه.

وإربد مثل غيرها من الأماكن لا يقدمها عرار مكانًا جغرافيًا محايدًا منعزلاً عن نفسه أو عن الناس، بل يصورها نابضة بالجمال ذات وشائج قوية بشخصيته ووجدانه؛ فلم يكن يردد اسمها لدواعي الوزن والقافية وإنما تعلقًا بها وتعبيرًا عما يحسُّ به نحوها من مشاعر الحب والإعجاب.

ومن مظاهر الجمال الإربدي الذي تغنى به الشاعر جمال الطبيعة الذي يفيض به سهل إربد مما ينبت فيه من نباتات وأعشاب:

وسهل إربد قد جاشت غواربه
بكل أخّاذ من عشب ونوّار

يضاف إلى هذا الجمال جمال النساء؛ فنساء إربد تجتمع فيهن صفات تختزل صفات النساء في المدن الأردنية الأخرى؛ فهنّ يتمتعن بجمال القد وفتنة العيون، ويرد تفوقهن الجمالي على وجه التقرير ضمن تساؤل غير مباشر يتحقق للشاعر بتعابير شعبية مألوفة، كما في قول الشاعر:

هذي القدود المأدبيّة
والعيون العجرمية
للسلط تُنسب أم ترا
ها عند حزرك إربديّة

ويتلو تغنّي الشاعر بنساء إربد التغني بعذوبة مياهها، وهنا يستحضر الشاعر المكان ألا وهو قرية راحوب التي كان أهل إربد يستقون من مياهها الغزيرة، إنه يتذكرها في الغربة، وتكون من دواعي حنينه إلى بلده، فعندما كان في القاهرة عرض عليه الشاعر إبراهيم ناجي أن يقيم في مصر، فأجابه إنّه يحن إلى بلده وبخاصة إلى مياه راحوب، فهو يتوق إلى احتساء كأس تتوهج بهذه المياه، وتنسكب من دنان الخمر "البتراسي" نسبة إلى قرية بيت راس التي تقع إلى الشمال من إربد:

وواحنيني إلى كأس مشعشعة
بماء راحوب والدنان بتراسي

والشاعر في موضع آخر لا يستطيع أن يستغني عن مدينة إربد أو يستبدلها بدمشق على سبيل المثال، لقد التصقت به والتصق بها؛ فلا يستطيع أن ينسلخ عنها، أو ينتسب إلى غيرها:

قالوا تدمشق. قولوا ما يزال على
علاته إربدي اللون حوراني

ويأتي ذكر دمشق في موضع آخر

عندما يقدّم عليها مدينته؛ فإربد أغلى وأعز من تلك الجنة التي تمثلها، وهي المدينة التي تختزل الوطن الأردن، الذي يرمز إليه الشاعر بلمياء:

دمشق يا جنة الدنيا وشامتها

إن لم يكن فيك عن لمياء أنباء

فالقلب أشهى إليه منك بلقعة

من سهل إربد لا عشب ولا ماء

وإن كان الشاعر يتغنى بإربد كثيراً فلا يمكن أن يُوصف بأنه ذو نزعة محلية ضيقة، فهو كثيراً ما يذكر إربد أو يذكر قراها إلى جانب الأماكن الأردنية الأخرى، فعلى سبيل المثال في قصيدته المشهورة يا جيرة البان يخاطب الشيخ عبود بعدما يحدثه عن الجنة وما فيها من جمال وملذات قائلاً إنّه يرفض أن تكون هذه الجنة خاتمته إذا لم يكن فيها مياه راحوب الإربدية، وأهل جلعاد وشيحان، وأشجار عجلون، وهضاب السلط، وطيور الغور، وغزلان الحصن، فنقرأ من القصيدة:

يقول عبود جنات النعيم على

أبوابها حارس يدعوه رضوانا

من ماء" راحوب" لم يشرب وليس له

ربع "بجلعاد" أو حي "بشيحانا"

إلى أن يقول:

إن كان يا شيخ هذا شأن جنتكم

فأبعد بها إنها ليست بمرمانا

وقل معي بلسان غير ذي عوج

لا كنت يا جنة الفردوس مأوانا

ولا غرابة وتلك المنزلة العالية للوطن شماله وجنوبه أن يوصي الشاعر بأن يكون مثواه الأخير في مدينة إربد أو في سفح شيحان:

وقل للصحب: واروا بعض أعظمه

في تل إربد أو في سفح شيحان

ولكنه في موضع آخر يختار إربد، لتكون فيها نهايته:

فأقم بإربد لا تغادر ساحها
إلاّ إلى القبر الذي به تقبر

وهكذا يتوفّى الشاعر عام ١٩٤٩م في مدينة عمان، ولكن جثمانه ينقل ليدفن في تل إربد كما أوصى، ففي مدينة إربد كانت البداية والنهاية، إنها المكان الذي سكنه الشاعر وسكن فيه..

---

mdkawasm@yahoo.com



قصائد



نضال القاسم *

حريق

متهاديًا موتي يجيء

وموجُ روحي عاصفٌ

ويلهبني الحريق

أعودُ إليكِ يا وجعي

فإني

ستقتلني الطريق

خيمة

أرى البحر ذئبًا

والمدائنُ أقلعت كالطائرات

ولحظتين لم نهدأ

وصار عواؤنا وجعًا

وأتعبنا الحنين

أرى خيمةً أخرى

على بُعدِ عام

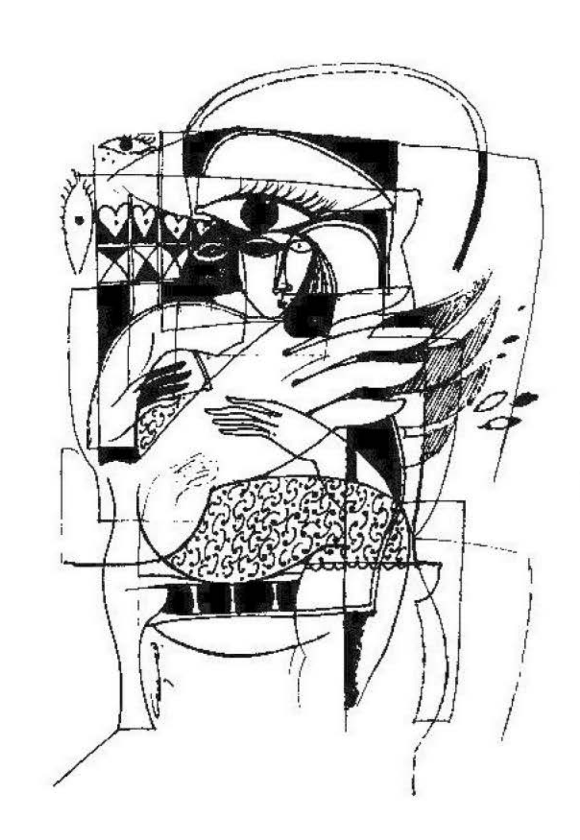
أرى...

طفلةً تبكي... وأخرى

مجوَّعةً تُضام

---

* شاعر من الجيل الجديد – إربد.



نقش الحبْ

وأكتبُ في دفتر الشعر

أن الذي بيننا مستحيل

وأكتب في دفتر الذكرى بأني قتيل

وأكتب في دفتر العمر أن الذي بيننا صار ذكرى

وأكتب: إن حبك قاتلي

إنني عاشقٌ مستحيل

خوف

وجه هذي المدينة خائفٌ

فدعينا نُسدلُ الشمس على أكتافنا

فهذا الليل يزدردُ الأحبة

سبايا نحنُ للأحلام يا (آلاء)

سبايا نحنُ يا محبوبتي السمراء

مدينة

وجه هذي المدينة خائفٌ، ويحرسها الرماة

لكنها شاخت وأصبحت مليئةً بالذعر والكمائن

تقتاتُ ذعرًا أسودًا

يتسكعُ الجوعى بها بين الحواري والزقاق

هم حائرون ويسألون

هل يُدفنون بلا كفن؟





بوح مختلف



عمار الجنيدي *

تلك الشقراء؛
ذات الشعر المنسدل
فوق الكتفين؛
أنفقت العمر سرابًا
وأنا أبحث عنها
شردني برد التطواف
وأرّقني طول السفر
ذَبُلَ الزيتون على أمه
وسنابل حوران تطاول فيها الشموخ
فداستها حوافر خيل السلطان
تلك الشقراء
أغنية حورانية

ضاربة في الزهو
ممعنة في الصد
وفي الهجر
عيناها
-يا الله-
ما أجمل قوس قزح
ذاك المرسوم على شفتيها
مرّت سنوات البعد
كرصاصة غدر في ليل هادئ
اختبأت كل شياطين الشعر
في قمقم خجلي،
بعد غياب شاخت فيه فصول العمر؛

* شاعر وقاص من الجيل الجديد - عجلون - الأردن.

غياب:
أوقد في روحي اليأس
وحطّم أشرعة الرجاء بقلبي،
لقيت الشقراء
ذات الشعر المنسدل فوق الكتفين
لُذتُ بظل قصيده
ثملت بكأس الجرأة
فسكبت فنوني بين يديها
ورسمت على خد الشمس كلماتي
ابتسم الزهو على شفتيها
وهمستْ في قلبي:
منذ متى يا هذا الشقي
وأنت تدقّ نوافذ ليل المحرومين
وعلى عتبات البوح الشفيف توشوش قلقي شعرًا
ضحكتُ بقهر
وأنا أتذكرني
لحظة ضبطوني فيها أقترف الشعر:
كنت صغيرًا جدًا
حروفي الخائفة أكبر مني
كان أبي في تلك اللحظة
مجرد فكرة في ظهر جدّي؟...
تلك الشقراء:
ذات الشعر المنسدل
فوق الكتفين:

كنت أراقب لهفتها من زاوية بلهاء
حطّ عليها ضوء باهت
قبيل غروب العمر التائه بقصائد معدودة
رفعت حاجبها الأيمن
همست عيناها في قلبي:
إني أبحث عن فارس حلمي،
لأُحرِّضه كي يخطف روحي
على فرس بيضاء أصيلة
واسكن معه قصرًا مبنيًا من أحجار اللؤلؤ والمرجان
وجوارٍ بيضٍ تغصّ بهن جنبات القصر
يوقدن بخور الزهو،
ويطفن ببالي سبعة أشواط
تنهّدتُ بحزن:
لذت بعجزي حتى اشتعل الهمُّ بقلبي
صمتًا وخواء
ليت الفاتنة الشقراء
عن الأحلام تغضّ السعي:
فهذا زمن حاقد
ولّى فيه بلا رجعة عهد الفرسان
هذا زمن باطل
ضاعت فيه مروآت
واستغول فيه الإنسان

amrjndi@yahoo.com





قمر المستحيل



علي طه النوباني *

لأني أعودُ لعشّي جريحًا

ألملمُ زرقة ذاك السراب البعيدْ

أراك أمام عيوني

تطلّين في ثوب عيدْ

وأجمع من زهو عينيك عقدًا

وأغنيةً

وأغفو

ومابين جفني وعيني

ينام النشيد

* * *

لأنّي جمعتُ فصولَ الرحيل

وصوتَ السنابل في غبش الذاكرة

أريدك قمحاً

شراعاً لعيني

يضيء الموانئَ عشقًا

ويطفي لظى الخناجر في الخاصرة

* * *

لأنّ المسافة جمرٌ

وقيثارتي قلمي

مزجتُ الحروف بدمعي

وأشهرت في وجهها ألمي

* * *

لأنّ عيونك حقلٌ

على ربوةٍ

في قمر المستحيلْ

شربتُ الموانئَ بحثًا

وجُبت المسالك شوقًا

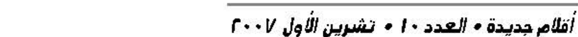
ولما أطلَّ بهاؤكِ

ضاع الطريقُ

وضاع الدليلْ

* * *

* شاعر من الجيل الجديد – جرش – الأردن.





ثوبها الأزرق

ماجدة العتوم *

يدٌ شعرها كثيف تمتد من نافذة الباص، تحمل سيجارة تشتعل حتى منتصفها، ستارة النافذة تغطي وجه صاحب اليد والسيجارة، الفضول الغريب يدفعها لمدّ رأسها من نافذة الباص الآخر الذي تستقله هي بدورها، كل ذلك لمعرفة صاحب تلك السيجارة، يده لا تتحرك باتجاه الداخل وكأنه لا يريد التدخين أكثر، وفي ذات الوقت فإنه لا يرمي تلك السيجارة، لا يتحرك أي من الباصين، تتذكر ذلك المقطع الذي كان متداولاً بينها وبين صديقاتها اللواتي لم تعد تعرف أين أصبح معظمهن، ذلك المقطع النزاري، الذي كنّ يرددنه لمّا يرين شابًا وسيمًا يدخن وحيدًا: "واصل تدخينك، يغريني رجل في لحظة تدخين".

تفكر فيما إذا كان هذا المجهول شابًا وسيما أم لا، ماذا تراه يكون؟ تحسّ في أعماقها أنها تعرفه، يكاد جسدها يخرج من النافذة لكنها لا ترى سوى يده وحسب، تتحرك الأصابع النحيلة لنفض السيجارة التي أوشكت على الانتهاء، تتأمل ذلك الباص، تخشى أنه قد يمتلئ بالركاب ثم يمضي ولم تر بعد وجه صاحب السيجارة، تفكر بضرورة الجنون في مثل هذا الموقف، لكن ماذا عساها تفعل؟ هل تنتقل من هذا الباص إلى ذاك الآخر؟ هل تمسك بشيء تضرب به نافذة ذلك المختبئ من الشمسِ المتجهة نحوه بإصرار فلا تدع لها مجالاً لرؤيته، تتساءل: هل سمَّرت الشمس وجهه؟ هل يشبه فارس الأحلام الذي لم يشبه أحدًا يومًا؟ هل في عينيه وميض ذكاء وحزن معا؟ هل لديه روح فنان؟ هل يملك ابتسامة دافئة ومجنونة في آن واحد؟ ياه... لماذا نسيت

* كاتبة قصة قصيرة من الجيل الجديد – جرش – الأردن.

نفسها إلى هذا الحد؟ فلعل لديه صديقة تنتظر حضوره في هذه اللحظة وتعد الدقائق حتى وصوله؟ تتمنى لو تكون هي تلك الصديقة، فها هي في كامل أناقتها، تلبس أجمل ما لديها من ثياب، ثوبها الأزرق المرقط بالكحلي، وحذاؤها الكحلي، وتحمل حقيبة يد كحلية أيضًا، وتضع الماكياج الخفيف الذي يحبه.. إنها مستعدة تمامًا للقياه، ثم إن لديها كلامًا كثيرًا تريد أن تقوله له، تفكر أنها ستلتقيه بعيدًا عن مرأى الناس، في مكان بعيد وهادئ، مكان يرتفع فيه صوت فيروز بأغنيتها المفضلة: "بعدك على بالي يا قمر الحلوين، يا زهرة تشرين.. يا ذهب الغالي".

هناك سيستمتعان بجلسة تاق إليها كلاهما، لأنهما لم يلتقيا منذ زمن، ترى ماذا لديه من أخبار جديدة أم أنه سيجلس صامتًا كعادته يتأملها ويدخن بصمت أنيق ومحرج، لأنها لن تكف عن الكلام من اللحظة الأولى، ستقول له كل شيء في جعبتها، ستحدثه عن وظيفتها التي صارت مملة وتتمنى لو تجد غيرها، إذ إن روحها ضاقت من تلك الوظيفة ومن رفيقات العمل اللواتي باتت وظيفتهن الأساسية هي الثرثرة فقط، ستحدثه عن أهلها الذين يشددون عليها الحصار كل يوم بسبب الخُطّاب الذين يتقدمون لخطبتها، بينما هي تصرُّ على الرفض،



وأسئلة الأهل تكثر.."لماذا؟...وحتى متى؟" لا.. لن تتحدث في هذا الأمر لأن هذا النوع من الكلام سيترك في عينيه نظرة حزن، وفي قلبه إحساسًا بالعجز، ولن تحتمل هي ذلك، ثم ما الداعي لكل هذا الحديث؟ ستحدثه عنه وحده، عن شوقها إليه، وعن حاجتها لرؤيته كل لحظة تمر، ستقول له لأول مرة بلغة صريحة إنها تحبه.. وهي تعرف أنها ستخرج كل مرة من لقائه وهذه الكلمة عالقة على طرف لسانها، ستحاول، ستقول له إنها تحب طريقته في التدخين، وإن كانت تتمنى لو أنه يخفف من هذا الداء اللعين، لأن ضرره صار واضحًا عليه..صار ينحل، والدوائر السوداء باتت ترتسم تحت

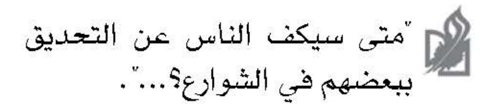


عينيه.. لن تنسى أن تسأله إن كان قد أنهى لوحته الأخيرة وفيما إذا كان هناك ما هو جديد، لعله بعد هذا الزمن الطويل من الغياب يعدُّ لمعرض.. كم ستكون سعادتها كبيرة لو أن الأمر كذلك.... فجأة تسمع صوت" الكونترول" يطالبها أن تدفع الأجرة.. تتردد طويلاً، تلتفت حولها، لم يعد ذلك الباص موجودًا، لقد رحل بما يحمل بينما كانت هي غارقة في أحلام اليقظة، رحل ولم يترك أثرًا أو إشارة، كما أن الباص الذي تستقله تحرك وها هو في طريقه، تدفع الأجرة بارتباك شديد وتفكر بنوع من الرهبة إلى أين هي وجهتها؟ لقد حلّقت بعيدًا إلى حد أنها نسيت ما هي عليه، لكنها تنزل في مكان تنتظرها فيه صديقتها الوحيدة بعد هذا العمر، تبادرها تلك الصديقة بسرعة لماذا تلبس هذا الجينز القديم، ولماذا تحمل هذه الحقيبة البنية الكالحة وهذا الحذاء المتخلف، ثم لماذا يبدو وجهها شاحبًا، لماذا لم تضع القليل من الماكياج لتخفف من حدة هذا الشحوب؟ تنتبه إلى نفسها، تتلعثم طويلاً، تضع راحة يدها على وجهها، تبتسم وتكاد تبكي "ماذا أقول لك؟ كان يجب.. الثوب الأزرق، الحقيبة، الحذاء، الكحلي، الماكياج، لكن... الأولاد أربكوني هذا الصباح قبل ذهابهم إلى المدرسة، كما أن زوجي.. ياه .. لا أدري، لقد تركوني في هذه الحالة: "تصمت بحسرة ولا تضيف شيئًا آخر.. تصلان إلى أقرب مقهى، تجلسان، تنظر حولها وكأنها تبحث عن أحد ما، تكرر الصديقة استغرابها من وضعها المرتبك اليوم، لكنها ترى شابًا يجلس وحده، يمسك سيجارة بيده ذات الشعر الكثيف، ينظر في ساعته، ويحدق في هاتفه النقال.. تلتفت إلى صديقتها التي مسّها ذات الحال من التأمل والترقب، تضطربان قليلاً، لكنهما تضحكان معا بسخرية وترددان ذلك المقطع النزاري الذي لا ينتسى: "واصل تدخينك، يغريني رجل في لحظة تدخين".

الغريبة



تقوى مساعدة *



"متى سيكف الناس عن التحديق ببعضهم في الشوارع؟...".

سأل نفسه وهو يتمشى!!..

كان يحب المشي في جبل الحسين لأنها منطقة ضاجة بالحياة...ولكنه يشعر اليوم بوقاحة الضجيج!! كل الأشخاص الذين عبروه كانوا يطيلون التحديق إلى شيء خلفهم!!

حرّكه الفضول (هو أيضًا من هنا، وإذا "جنّوا ربعك عقلك ما ينفعك"!!)... إلى ماذا ينظرون؟.

أمسك نفسه متلبسًا بالتحديق إلى شاب وفتاة يتناولان غداءهما في "أجياد"... أخذ يفكر "متزوجان؟... لا... لماذا يتغدى متزوجان في "مطعم"؟ ثم إن حوارهما دافئ جدًا... لا بد أنهما مخطوبان... لا يوجد خواتم في أصابعهما... إذن فهما أصحاب... هل هما صادقان أم أنهما أزعران! هل يكذب عليها؟ هل تكذب عليه؟.

صمت حواره الداخلي للحظة...

أحسّ بالخجل من نفسه، لا لأنه يحدّق في العابرين، ولكن لأنه يخجل من الاعتراف حتى أمام نفسه بالحنين إلى خطيبته وبدلاً من أن يعوض الحزن بصدق وصراحة، فإنه يشغل نفسه بحوارات تافهة ومسخرة مثل هذه!!..

استدار وجلس على الحافة مقابلاً الشارع.

---

* روائية وقاصة من الجيل الجديد - إربد - الأردن.

قال لنفسه: كان كل شيء جميلاً... كنا سعداء، بالضبط كسعادة هذين الاثنين الآن... كنت أحب وجودها... ضحكتها... وجهها الجميل، عيونها الزرقاء (أم أنها كانت كحلية؟!... لا أذكر) أنفها الصغير. شعرها القصير (الاجارسون؟ أهكذا كان تُسمّيه؟... لا أذكر)...".

"أنا آسف يا نفسي... ولكنني بالرغم من كل شيء أشتاق إليها.

أو لأكن أكثر دقة: أشتاق إلى وجود امرأة في حياتي لترتب فوضاي، أو لدفعي إلى العناية بنفسي... مشتاق إليها جدًا...".

أضعفه الحزن للحظة...

انتفض كبرياؤه... قال لنفسه: "ولكنني أفضّل أن أعيش وحيدًا على أن أعيش مع امرأة ضجرت مني لمجرد أنني أمضي تسعة أشهر للبحث عن شقة!!.

ماذا أفعل لها إن كانت بغداد كلها قد سكنت في عمان؟! ماذا أفعل لها إن كان راتبي مقصوف العمر عاجزًا عن شراء (أو استئجار) جحر لنبني فيه عشّنا!!...".

ابتلع مرارة كانت تفور في حلقه كلما فكر في الأمر... فكّر: "لا يمكن أن أكون أحمق للدرجة التي تجعلني أستتر في لوم حماتي... ففي النهاية هي ليست مسؤولة: هي امرأة طيبة تريد أن تطمئن على مستقبل ابنتها... أمٌّ ككل الأمهات، ربما كونها مستعجلة أكثر مما ينبغي على تزويج ابنتها (كمشروع استثماري ينبغي إتمامه قبل أن يدقر السوق!!) ولكن هذه ليست قضيّتي".

"المحزن أنها فتاة مستقلة جدًا... وأعرف أن أمها لم تتمكن يومًا من أن تفرض عليها لون حذاء تريد أن تشتريه، أو ثوبًا تريد أن تلبسه... فلماذا استسلمت عندما قالت أمها أنني لست الرجل المناسب؟!..".

أحسّ بالغضب وهو يتوصل إلى أنها تخلّت عنه لا لأنها وقعت تحت ضغط عائلي، بل لأنها دفعت العائلة للضغط، وأنها هي من اختارت التخلص منه، لتتمكن من اصطياد العريس الكويتي قبل أن تنتهي الصيفية ويعود "عريس الغفلة" إلى بلاده!!

أصابه ذلك الغضب المشوب بالحزن والخذلان... الغضب الذي يفقده دائمًا القدرة على التنفس.

مرّت فتاة...

عرف حينها لماذا كان المارة ينظرون باتجاه واحدٍ... لم تكن ترتدي شيئًا مثيرًا أو فاتنًا، ولكنه استوعب متأخرًا سبب التفات الجميع إليها...

كانت قد ابتعدت عندما جمع الكلمات المكتوبة على صدر قميصها... كتبت: "عذرًا... مغلق حاليًا لأعمال الصيانة"!!

ماذا تقصد؟

الكلمات مكتوبة بموازاة قلبها...هل تقصد أن قلبها هو المغلق للصيانة؟... وهل تعمل الصيانة إلا بعد الخراب؟... من الذي عاث فسادًا بقلبك يا صغيرة؟.

شعر بالحنين فجأة..تحسّس صدره.

قلبه مألوم هو الآخر...

نهض بسرعة ولحق بها...

كانت قد قطعت الشارع باتجاه الدوار.

انتظرت قليلاً حتى يفرغ الشارع...

ابتعدت قليلاً... ركض كالممسوس... صارت أمامه مباشرة... شعرها الغجري المنشور يُلوّح يمنة ويسرة (ليس الاجارسون، إذن!!).

مدّ يده وقبض على كتفها.

استدارت نحوه بهدوء وهو ما يزال قابضًا على كتفها... هو يعصف بلهاثه وهي تنفح نسائم هدوئها وصمتها.

ليست جميلة... عادية جدًا جدًا جدًا... عيونها بليغة تروي وتحكي أكثر من العبارة على صدرها.

لم يقل شيئًا... فقط حدّق في وجهها.

حدّقت في وجهه والتقى الصمت كأعمق الأحاديث.

علا صخب دوار الداخلية والجسر والنفق على صوت الصمت... تدفّقت السيارات في كل الاتجاهات مختارة طريقها أو تيهها.

بينما عرف هو لحظتها لماذا يُحدّق المارة في وجوه بعضهم.

إننا فقط نبحث عن عابر سبيل يشبهنا...فقط.

ريحان الشهادة

صفوان يوسف قديسات *

إلى الشهيد مرشح الطيران محمد هجرس بطاينة

لا تَدْعُني آتي المواعيدَ وحْدي ... فلقد ذُبتُ منْ حناني وَوجدي
فَتجلّى وامسحْ بكفّيكَ جرْحًا ... نازفًا منْ دَمي لأبعدِ حَدٍّ
غرزَ الدَّهرُ في الضُّلوعِ نصَالَ الـ ... ـموتِ فاستبقاني ويَبّسَ وَردي
فتوقَّفتُ سائلاً عنكَ نفسي ... فتهادى دَمعي وأغرق خَدّي
أذهل الغيمَ أن تعودَ إلى الأر ... ض فنادى في الأُفْقِ ليتكَ بَعدي
أذهل الغيمَ أنْ رحلْتَ سريعًا ... فأحلتَ القطرَ الشَّفيقِ لسُهْدِ
أتراهُ استوحى البشارةِ مثْلي ... ورأى في عينيك برقَ التَّحدي
أمْ تُرا قَد أحبَّ فيكَ صفاءَ النَّـ ... ـفسِ واستهلالَ الجبينِ المُنَدّي
ها هُمُ الصّحبُ يسألونَ وقَدْ رُحْـ ... ـتَ وكلٌّ أتى إليكَ ليفْدي
فلقَدْ كنتَ بينهمْ في النّهارا ... ت كشمسٍ تُهدي رسائلَ وُدّ
كمْ تباهى اللَّونُ السَّماويُّ لمّا ... غابتِ الشَّمسُ وهَوَ أحمرُ وَرْدي
كمْ تباهيت حينَ طرتَ شَهيدًا ... بجناحينِ منْ لآلٍ وخُلدِ
كمْ تمنَّتْ صَبيّةٌ أنْ تُناجي ... مُقلتَيها عَيناكَ قَصدًا بقصْدِ
وقَفَتْ ذلكَ الصَّباحَ على الدَّر ... بِ لعلَّ السُّؤال يحظى بِردًّ
لكَ لفَّتْ ضفيرَتيها مَساءً ... بشريطينِ منْ فَخَارٍ ومَجْدِ
يا رفيقَ الغيمِ البعيدِ أجبني ... بُحَّ صوتي ما بينَ بُعدٍ وبُعدِ
فابعثِ الرَّدَ عَبرَ صمْتِ اللّيالي ... واشْفِ زيفَ الدُّنيا بأصدقِ وَعْدِ

---

* من الأقلام الجديدة – إربد – الأردن .

طقس الجموح

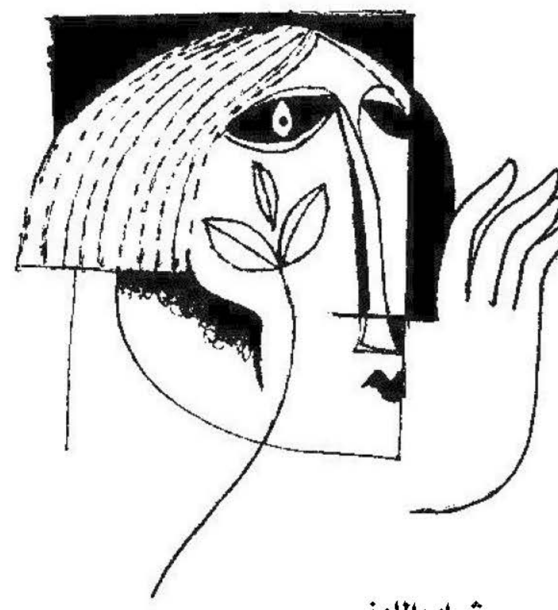
ليندا عبد الرحمن عبيد*

وبي فرسٌ تُقطّع من خيوط الروح
جامحةٌ
وبي قلب كلونِ الغيم أو أبيضْ
يضيقُ الضوء في العينين كي أكبرْ!

* * *

وبي طقسٌ يُذيبُ الغيمَ
يسقي طفلة المعبد
تُذوّب دمعها بحرًا
ويأكل لونها السّادن
صدى كذِبة
يُحرِّقُها
تُزخرف من أنين النبض تابوتًا
بهِ حلم يؤجله
تراتيلٌ تُزلزلها
تُثير صراخها المدفون في الجدران
يُقتلها
يُقطّع من شراب الروح كي يثْمل!
هنا يدُها
هنا دمها
وإثم الطقس يصبغها
يضيقُ الطقس في الجدران
ومن رحمٍ رواه الطيف

* من الأقلام الجديدة – إربد – الأردن.



شراب اللوزِ

في العينين

وبعض الحزن والغربة

عروق الفلِّ نامية

تفتش عن طقوس الموتِ

في الجدران كي تكبر:

* * *

وبي حلمٌ أُؤجله

إلى زمن

سيزرعُ عشبهُ الفرسان

به خيل

يُزيح لجامها غضبي

فأخرج من جيوب القهر

أقراصًا من السُكّر

فتلعق خيله كفي

فأتّقد

* * *

عجنتُ الروح فاتحة

وصليّت

صلاة الظهر كي تهدأ

وعند العصر

دعوت الله أن تهدأ

وجاء الليل يحرقني

عجنت الروح فاتحة

لكي أهدأ

فجاء الموت في التابوت يسألني

لمن أذوي؟!

فراشاتٌ تُحيط الروح

فأحرقها لكي أهدأ





عامر ملكاوي *

مصاب بالحنين

غريبًا... في ليلة عرس شقيقي، جلست إلى كرسي وُضع بدقة متناهية على حافة الطريق، تجانبني من اليمين أحلام مستغانمي... ذاكرة بلا جسد. ومن اليسار كآبة جبران خليل جبران، بينما يُفتح باب الحيرة أمامي على مصراعيه فأعبره عَجِلاً إلى متعة الشك بكل شيء: بالحزن والفرح، والحب والرغبة، بالمطلق والروح والجسد، الشك بكل ما هو بديهي واعتيادي، فقد انتظرت طويلاً أن تتبدد مخاوفي المتمردة وأن أُذيع ما ضننت به من كفر.

عالم من المتناقضات يلبس ثوب الفرح في عرس ملحمي. فعبر نافذة الشك يبدو كل شيء سواه: والدي يرقب مبتهجًا قفزات المسرورين بنسقها الرّتيب، يترنح تيهًا على إيقاعات الطبول وقد انعتقت روحه من خلف تجاعيد الكهولة وأنغام الناي تملؤه لهفة لخيالات الشباب. فيما حانت لي حلقة الدّبكة وقتئذ كأنها خيط دود مرتعش يدور حول جيفة من الأحلام نهشتها مخالب الحياة. ألفيت الصبية يركلون الأرض بأقدام الخيبة وسمعتهم يشتمونها عبر لهاثهم المتصاعد، ولم أجرؤ قط على سؤالهم عن السبب، لكني تذكرت أن الإنسان يرقص فقط عندما يكون عاجزًا، ولا أظنهم كانوا يرقصون تعبيرًا عن عجزهم عن البوح بفرحهم.

على مسافة أغنية مني، صبية تستند إلى عاطفة خرساء، مملوءة القلب حنينًا وشت به أحداقها المسافرة إلى عالم يلبس أسرارها العميقة... عالم من الاستفهام... شاب في مقتبل العشق، يحلّق كالنسر فاردًا جناحيه وقد لوّحته شموس الحب القديمة -المحتجبة بنقاب الشرف والعرف والعيب

* من الأقلام الجديدة – قاص من إربد مقيم في السعودية.

والدين- يمارس طقوس الإغواء عن بعد. وكخلفية موسيقيّة فريدة أثرى المشهد ازدحام الفضاء بحشود من الزغاريد التي انفلتت من الألسنة المعقودة لتبوح للأثير بزمن غابر طويل من الصمت.

عكس الناس، ولأنني مصاب بعذوبته، باغتني الحزن على حين فرحة سكينًا بأبهى حلله، تساءلت... هل يجذبني إليه هدوءه الساحر، أم أن روحي الظامئة أبدًا تتلذذ حلاوة رشفه؟ حملني ذلك الشقي على بساط الذاكرة من غربتي المقيمة هنا في قريتي إلى غربة أشهى... إلى بغداد، عندما كان يطوقني الذنب كلما أحسست بشيء من الفرح، حتى أجدني ممسكًا سماعة الهاتف سائلاً أمي وأبي وإخوتي إن كانوا مسرورين مثلي كي أبرر لنفسي فرحها، أو لربما كانت أصواتهم المجروحة تسرقني من فرح لم أعتده عمري.

لكأنه كان يحضرني لصفعة حب محموم يئنّ في صدري، يوسعني ألما. تكالبت عليّ أشباحك الكثيرة: طفلة تلبسين معطفك الأسود وقبعتك الصوفية الحمراء، تلحقين بي قطّة صغيرة بعدما أخطأت قدماي موطئ الموعد لتتبس باسمي شفاهكِ المتورّدة ثم أستدير لأرى أجمل وردة أهديتها أجمل صبح في أجمل لقاء بين مسافرين غريبين على سلّم ضيّق يقود سكينتهم إلى معرض صور للوجوه القلقة. كانت أحداق ذاكرتي تتفرس تلك الدموع المتأهبة التي طالما فاضت من عينيك المتواريتين خلف العدسات المكبرة للشوق، فاضحة صمتنا المنهوك على مرأى من فضول الموجودين في المكتبة... حيث أضاع الغياب عناوين الكتب واشتاق زحزحة الكراسي. شعرت بشيء من المرارة تسيل في أعماقي، تمامًا، كمرارة قهوتنا النادرة... أتذكرين كيف كنا نستمتع بمخاض دلّة القهوة مدفونة بين حبات الرّمل السّخينة حتى تلد لنا توأمين من الأكواب؟ وكيف كنتِ تثيرين لديّ براكين الغيرة عندما تتحدّثين إلى النادل سائلة بينما أنت تعرفين الإجابة مسبقًا؟

رأيتُنا طيفيّ عاشقين مختلفين، نرسم بجدلنا المزمن في المطلق والوجود والإنسان والدين والروح وجه الحب النقي على أرصفة الأحلام، اشتاقت خطانا لكل شبر من شوارع عمان، حيث كانت تحتفي بنا الأشياء عندما نعبرها مترنمين بقصائد عشق تختلط بأنفاسنا الدافئة. زرعتني الذكرى زهرة ذابلة بين أنقاض المعابد والقصور فوق جبل القلعة فتبدّت لي صورتك إلهة أسطوريّة نزعني من الوجود بريق عينيها المكلوم عندما قرأت في إحداهما حكاية الجمال وفي الأخرى وصيتي التي لم أكتب.

تذكرتكِ بكل تفاصيلك وحالاتك وأمزجتك، دموعك وابتساماتك، تذكرت كل شيء، إلاّ أن شريط الذكريات توقف على وجعي: ها هو رقمك يظهر على شاشة الهاتف... أين أنت الآن؟... حضرت

لأودعك... يتسارع نبض قلبي، أشعر بضيق يأكل أنفاسي، أترك حقائب سفري في قاعة الانتظار، أخرج مسرعًا حيث تنتظرين... تنهضين عن المقعد، تتقدمين نحوي بتؤدة لأرى امرأة سواك... كسيرة شاحبة بدت في وجهها أمارات الموت. طفحت عيناك بوافر الدمع العصي... حان وقت الفراق، تفتحين حقيبتك الصغيرة، تخرجين منها قنينة ماء كانت قد لامست شفتيك المرتعشتين، تضعينها في حقيبتي بينما أفتش فيها عن دفاتر حبّك التي طلبت أن أعيدها إليك لتفرغي عليها شوقك القادم -كأنّك كنتِ تعلمين أننا لن نلتقي ثانية- تهديني تلك الرواية (زوربا) التي اتفقنا أن نبدأ قراءتها سويا حالما افترشتُ آلة السفر. تصافحينني موصية: اعتنِ بك، تديرين ظهرك حانية الرأس ولازلت أتحسس ملامس الوداع تحرق يدي، تمضين إلى حافة الطريق كي توقفي سيّارة أجرة، أتقدم نحوك دون أن تدركيني خلفك، أنظر وجهكِ لأصاب بدموعكِ وقد انفرطت كحبات الماس مذيعة سرّها للطريق. وما إن تستشعري وجودي حتّى تسرعي الخطى هاربة من ضعفي، فأقتفي أثر الكآبة ترافق جسدك المبتعد، ولأوّل مرّة أطلبك على الهاتف فيما أنت تسيرين أمامي، تسابقين الألم، ليوجع صوتك المخدوش قلبي وأنت تقولين: يا حقير... أحبك.

انتهى العرس وأغلق عقلي متخمًا على صراخ الأسئلة تعلو وتهبط في فضاءاته الشاسعة، غير أنه كان هناك سؤال ما برح يلحّ على تجاهلي: لماذا أنا مشغوف بالحزن؟ ولكي أجيب فضوله، اقتربت من تلك الحقيبة المركونة إلى زاوية الألم في غرفتي، وقد أغمضت عليكِ كزهرة الدّفلى، فتحتها... قلّبت دفاترك وكَتبك، لكن، وبكل ما يُثقلها من الكلمات كانت عاجزة، فما كان لي إلا أن أطرق ليل عباءتك علّها تفضي لضياعي بشيء من النور، نزعت عنها الخوف من المواجهة، علّقتها على الجدار، تأملتها مليئة بكِ... سمعتك بآذان قلبي تقولين: أنت في الحَقيقة وحيد، وما الحزن إلا أن تعي حقيقة ما أنت عليه. أيها الوجداني، سيرافقك الحزن أبدًا، فهو لحن الرّوح العذب، وما عرفتكَ إلا روحا تلبس جثّة بشريّ خرج ميتا من رحم العدم. ولأنني مؤمن بعجزي، طفقت أرقص كالمخبول على نغم أغنية علويّة جاءتني بصوتكِ الشّجي: أنا رجع الحنين في كهوف الغياب، أنا صوت الخلود، أنا البداية والنهاية.

الآن وقد أنهكني الرّقص، ورقدت الكآبة على سريرها قبالة أسئلتي الأزليّة، دعيني أتجرّد قليلاً منّي وأخبركِ بشيء عرفته للتو: أنا تمامًا عكسكِ، أبحر على سفينة الحب إلى شواطئ العقل، لأن الوجود فكرة لا يدركها إلا من أحبها، ولطالما تعانقت أرواحنا طي أجنحة العشق لكنّه كان نهايتك وبداية معرفتي، فهل أحببتني فكرة أثيريّة تختصر ما يخبو من الحنين تحت أنقاض الطين؟

قسط جامعي

عمار فارس *

وحيدًا كان جالسًا هناك بمحاذاة الشارع الممتد من أسفل المخيم وعبر (براكياته) مارًا إلى أعلاه يرقب المساء. بقي صامتًا لا يحرك ساكنًا، حتى أنه يكاد يخيل للمارين عرضًا في الشارع بأن تمثالاً من الحجر يرقد على قارعة الطريق.

كانت الساعة قد جاوزت الثانية صباحًا بقليل ولا شيء يعكر صفو ذهنه غير خربشة بعض القوارض الباحثة عن شيء تقتات منه بين أكياس القمامة المكومة جانب الطريق، أو بين المياه الآسنة في المجاري.

بقي على هذه الحال فترة ليست طويلة ولا قصيرة، وكأنما يشكو حاله للشارع. والقمر هناك راقد في سريره داخل درب التبانة مكتفيًا بإضاءة ما عجز عن إضاءته البشر وبأبيضه يحاول تخفيف وقع الجوع على أبناء المخيم. فها هو بين الأزقة، على أسطح البراكيات، حارسهم الذي يرفض أن يستريح.

لم يبق سوى ساعات على طلوع النهار الأخير لدفع قسط صاحبنا ضاقت الدنيا به، ولم يبق دموع في مقلتيه.

- يا الله ما السبيل؟ أين المفر؟.... لا نقود. ولا أبًا قادرًا على الإعالة، ولا حتى متبرعًا لدفع القسط هذا الفصل!!

تضاربت الأفكار في رأسه، هاجت وماجت، انتفض كحصان لم يمسسه مُروّض من قبل، نفض الغبار عن بنطاله،

* من الأقلام الجديدة - طالب جامعي - إربد.

أعاد ربط حذائه جيدًا كمن يستعد لرحلة طويلة. فكر للحظة وقرر:

- لا تراجع: قال لنفسه

سأذهب لعيادة الدكتور سالم، فالعيادة تبقى مفتوحة على مدار الساعة لمن هم مثلي أصلاً. والدكتور سالم هذا طبيب في العقد الخامس من عمره. نحيل كقصبة، أشيب الشعر نشيط ماهر في عمله، ودائم التطوير لأدوية جديدة يُجرّبها على البشر، وزبائن تجاربه معظمهم ممن ثقب الجوع أجسادهم وأرواحهم، وهذا هو الوصف الذي يروق لأبيه أن يُسميهم به، فهم عديمو الكرامة، يبيعون أجسادهم ليصبحوا فئران تجارب.

حرك رأسه ليطرد فكرة أبيه من عقله

- فئران تجارب. فئران حقول لا يهم، المهم المائة دينار، وأنا لست مثلهم لأنها ستكون أول تجربة وآخر تجربة.

وهناك في المخيم وعلى قارعة الطريق كان الأمر قد حُسم وبلا رجعة. مضى صديقنا بخطوات سريعة لا تخلو الارتباك.

وصل عندما كان الليل يُهيئ نفسه للرحيل، شدّ على أسنانه، صعد سلم العمارة، تعثر، استعاد توازنه.

وهناك لاحظ أن الحركة غير اعتيادية.

كان الجو ممتلئًا بالصراخ والشتم، وكان الدكتور سليم واقفا فاغرًا فمه

- ما........ذا......فعلتِ يا ساقطة ؟ أعطيته ٥٠٠ ملغ

وبكل قرف وكما أن الأمر لا يتعلق بحياة واحد من البشر ردّت:

- أنا لا شان لي، أنت قلت لي بأن أختار أقواهم وأعطيه الجرعة الإضافية، مقابل أن يحصل على المبلغ مضاعفًا، كما أنه وافق بمحض إرادته، ألم يُوقّع على الأوراق بأنه يتحمل المسؤولية كاملة، فلماذا تعطي الموضوع أكثر مما يستحق.

شدّ الموقف انتباه صديقنا، كان ما يزال واقفًا بالباب. أخذ يتابع التفاصيل عن كثب وقد فهم الآن مما يجري أن أحدهم قد مات من جرعة إضافية من دواء تحت التجربة. أخذ يفكر: ماذا لو كان مكان هذا الرجل!! حمد الله، همّ بالخروج، مشا خطوتين... ثلاث. لم يدر حتى هذه اللحظة كيف أدار ظهره ليرى الجثة والطبيب وأحد المقيمين يحملوه بعيدا عن الآخرين.

لاحظه... تفحّصه جيدًا.. لا مجال للشك إنه هو.. صرخ (يابا)

كان أبوه قد سبقه ليحصل على المائتي دينار لدفع قسط ابنه، ذهب أبوه مع المائتي دينار، وذهبت الجامعة معهم لغير رجعة.



فنجان قهوة

عبير عوض عبابنة *

كان يمشي بلا هدف متناسيًا تعبه، مستذكرًا آهات يومه البائس؛ فقد كان يومًا شاقًا مُتخمًا بالأحداث والمفاجآت.

وفجأة استوقفه صوت مريع؛ صراخ سيارة الإسعاف، أناسٌ يتدافعون وعبق الموت قد لفّ المكان.

تخطى الزحام في محاولة رؤية ملامح تلك المأساة؛ كانت طفلة في عمر الورود أشلاءً تملأ المكان، وقد اغتيلت براءتها وأحلام طفولتها. واستلقت بجانبها أطلال حقيبة توارثتها أجيال، وتناثرت أقلامها وألوانها وأحلامها البريئة.

دوّى في مسامعه صوت فجيعة والدتها مختلطًا بنحيب الرياح وبكاء السحب وأصوات تردد: "مسكينة هذه المرأة، فقد كانت طفلتها الوحيدة، وأملها بعد وفاة زوجها".

صدرت منه التفاتة إلى والدتها، صعقته المفاجأة، إنها...

أمعقول أن تكون تلك الأشلاء لـ......

لا مستحيل

دوّت صرخة في أعماقه تخرّ لها الجبال

* من الأقلام الجديدة – طالبة جامعية – إربد.



"البارحة كانت تعدو ذاهبة إلى مدرستها ونظرت إليّ مودعة، ومسحة ملائكية تعلو ابتسامتها، آه... لقد كان الوداع الأخير".

عاد لبيته مثقلاً بذلك المشهد، وأصداء فجيعة والدتها ملأت حجرته.

وكشاعر مجنون بدأ بمناجاة فنجان القهوة المتربع منذ الصباح على الطاولة، وقد جفت بقايا القهوة القابعة في قعره، مذكرةً بجفاف ضمائر العابثين.

"إلى متى ستبقى أيها الفنجان نهاية كل حادث في وطني؟"

وأخيرًا ساد صمت قاتل، ونفرت دمعة تسللت بين غصون وجهه التي خطها الزمان بقلم البؤس والحرمان.

وصورة تلك الطفلة وشظاياها المتبعثرة لا تفارقه حتى الساعة.

نصوص



هيفاء نبهاني *

أحبك
أحبك جدًا وأعرف أنا نحاول
أن نكسر المستحيل
نحاول أن نرسم فوق الهواء أسماءنا
وأن نرصد رغم الفراق أقدارنا
نحاول كسر جدار الحنين
نحاول أن نخرق البعد والهجر
والاختلاف
أحبك جدًا وأعلم
أن الدروب أمام هوانا
دروب بكاء
ولكننا
نزرع أنى نكون الحنين
ونرسم فوق جدار الزمان
حكايات من الوجد والعشق
والياسمين
أحبك جدًا وأعلم
أنا سنحظى ولو بعد حين .. بذاك العبير
رغم الفراق
رغم الهروب
ورغم مرور السنين

افتراق
رغم القطيعة والبعاد
رغم الدموع
آلاف آلاف الوعود

* من الأقلام الجديدة - مهندسة زراعية - إربد - الأردن

أن لا تعود
أن لا أعود
رغم انقطاع الصيف عن أرضي وأرضك
والشتاء...
رغم الرحيل
ما زلت أسمع في المساء
صدى الضحكات من قلبي وقلبك في السماء
ما زلت ألمح وجهك الضوئي
والجسم النحيل
رغم السنين الباردات
رغم التعاسة والبكاء
صوت العويل
رغم التراب
رغم هجوم الليل، انطفاء النار
رغم الضباب
ما زلت في أفقي تعيش
لا.. لن أصدق أن بيتك في التراب
أضحى طريق اللا رجوع
رغم البكاء
رغم الدموع
ما زال اسمك في عيني
وفي روحي
وفي قلبي... مضاء

ما زلت هنا
عامان قد مرا وما زلنا على الوعد
ما زال قلبي بالهوى يشدو وبالوجد
ما زلت اذكر أننا .. ثرنا معًا
على الزمن المكسر والمسافة
والدموع
خضنا بحار الشوق
بالعطر حطمنا الدروع
ما زال ذكرك يملأ خافقي
أزرار ورد...
آلاف القصائد.. والروايات
بحارًا من دموع
ما زلت كل صبيحة
أدعو.. أصلي
كي أراك هنا
مثل الحصان الحر تعدو
كالزنابق
تفتح الأبواب للحزن الشفيف
للبكاء الحلو
للسهد
للرياح بقلبي تعصر الأشواق
تهرب الكلمات
تفر من ثغري
مني إليك من ذاتي
إلى قلبي



سحر المستكة

لطفي القرعان *

-من أين أتت هذه الصرّة؟!
وما هي؟ آه، آه عرفت هذه سحر، نعم مؤكد أنه سحر مكتوبٌ لي. كلمات رددتها كوثر حين فتحت تنكة جبنة الغنم التي اشتراها زوجها كامل من زميله في العمل أحمد، حيث وجدت صُرّة قماش بيضاء تطفو على سطح التنكة أثارت لديها الشك والخوف من أن هذه الصرّة ليست سوى سحر معمولٍ لها، فكثيرًا ما كانت تسمع أحاديث السحر التي تتداولها أمها مع صويحباتها من أنّ فلانة معمول لها عمل، وللعمل أشكال مختلفة، وها هي الآن ويا للصدمة تكتشف أنها مُورست ضدها، فلا وألف لا لن تسكُت حتى تكشف من هو ابن أو ابنة الحرام الذي عمل لها هذا العمل.

- كامل، كامل، أين أنت؟!

جاء راكضًا إلى المطبخ خائفًا أن يكون قد لحق بها أذى ما، فصوتها يُنبئ بذلك.

- ما بك يا كوثر.

- ما هذا يا سيد كامل، هلا أخبرتني؟! قالت هذا ويدها منبسطة راجفة تشير صوب التنكة المفتوحة. لم يدرك كامل ما تريد.

- عن أي شيء تتحدثين؟

- انظر، ومدت يدها لتخرج الصُرّة... ما هذه، هل هي سحر عملته لي بالتعاون مع الست والدتك؟

- أي سحر وما شأني ووالدتي بالسحر، حتى أنها لا تعلم إن كنت اشتريت جبنة أم بطيخًا أصفر، ثم أنني لم أفتح

* × من الأقلام الجديدة - في مجال القصة - إربد - الأردن.

التنكة قبلك وربي شهيدٌ على ذلك، فأنت أول من فتحها ورأى ما فيها.

– آه ربما لم تفتحها صحيح، لكنك بالتأكيد أعطيت هذا السحر لزميلك الذي ابتعت منه الجبنة ليقوم بالمهمة بدلاً منك!!

– يا ستي والله العظيم ما قمت بعمل سحر ولا زفت، لماذا أعمل لك سحرًا ولم يمض على زواجنا سوى شهور معدودة، وما من شيء بيننا سوى الحب والسعادة والتفاهم فلم نختلف لمرة واحدة، نعيش مستقلين عن الناس، لا أحد يتدخل بحياتنا.

– كفى، كفى، لن أقتنع بهذه الادعاءات الكاذبة.

– سامحك الله، على أية حال بسيطة، الآن أهاتف زميلي أحمد لأسأله عن هذا السحر فقد يكون أخطأ وأعطانا هذه التنكة التي كان أعدها مؤونة لبيته وحطّ فيها هذا السحر لزوجته، نعم فهو على خلاف دائم معها فهي حسب ما يدعي ثرثارة ونكدة.

– طيب اتصل حضرتك حتى نشوف.

– آلو مرحبا أحمد، أنا كامل زميلك، الله يسلمك، الحمد الله، اسمع، أريد أن أسألك بالنسبة لتنكة الجبنة ممكن غلطت وأعطيتنا إياها وهي معدّة لأناس غيرنا؟

– لا يا سيدي لم أغلط، ما بها؟!

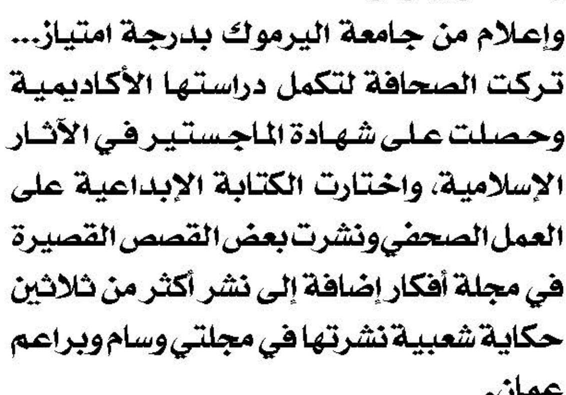
– بصراحة وجدنا فيها سحرًا، أيوه "واحد عامل لنا عمل وحطه فيها"، وجدنا صُرّة قماش بيضاء تطفو على سطح التنكة، وهذه زوجتي ثائرة تتهمني بالتآمر معك، يا أخي بحق الله احكي الصحيح وخلّصني من هالورطة، فزوجتي تجهز حقيبتها تنوي تركي والعودة لبيت أهلها.

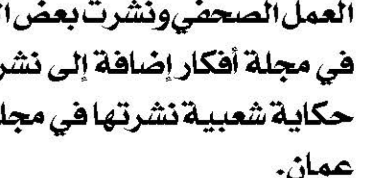
جلجلت ضحكات أحمد الطويلة بلا انقطاعٍ، تصم آذان كامل الذي يكاد ينفلق غيظًا.

– يا رجل، بحياة أولادك أحكي لي الصحيح.

– أُف يا شيخ ألهذا الحد أنت غشيم، معقولٌ أنك لا تعرف أنّ هذه صُرة محلب ومستكة تُوضع لحفظ الجبنة وحتى تعطيها نكهة ومذاقًا طيبًا ورائحة حلوة وتقول سحر، والله شيء حلو؟! صح هذا سحر، إنه سحر المستكة يا زميليَّ العزيزين وغدًا صباحًا سوف ألقي محاضرة حول المستكة وسحرها، فقد يكون غيركم من الزملاء الأعزاء الذين زودتهم بالجبنة المسحورة أو الساحرة المستكة قد انسحروا مثلكما.

– يكفي، يكفي، شكرًا، أنا آسف لإزعاجك بهذا الأمر والله ما كنت أعرف هذا وكذلك زوجتي كوثر التي شاركتني بالاستماع لتوضيحك هذا وهي تضحك على حالها وعليّ لجهلنا بهذا.







حوار: حسن ناجي*

أديبة من إربد

نجلاء حسّون:

حكايا الجدات تحمل قيمًا إنسانية



بدأت نجلاء حسون مشوارها في الكتابة والإبداع صحافية في جريدتي صوت الشعب وشيحان منذ عام ١٩٨٥ ولغاية ١٩٩٠، فهي تحمل بكالوريوس صحافة وإعلام من جامعة اليرموك بدرجة امتياز... تركت الصحافة لتكمل دراستها الأكاديمية وحصلت على شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، واختارت الكتابة الإبداعية على العمل الصحفي ونشرت بعض القصص القصيرة في مجلة أفكار إضافة إلى نشر أكثر من ثلاثين حكاية شعبية نشرتها في مجلتي وسام وبراعم عمان.

نجلاء حسون أصدرت كتابها الأول – نعامة السلطان– وهو عبارة عن مجموعة من الحكايات الشعبية التي تختزنها الذاكرة بأسلوب فني ومسؤولية كبيرة في انتقاء القصة والمفردة اللغوية، "أقلام جديدة" كان لها معها هذا اللقاء في إربد.

• كيف بدأت علاقة نجلاء حسون مع العمل الإبداعي؟

– كانت القراءة معبري إلى الكتابة، وأذكر أنني منذ السنوات الأولى للدراسة أحببت المطالعة كثيرا وقرأت القصص الكثيرة

* كاتب مسرحي، وشاعر شعبي – إربد

ودواويـــن الـشـعـر وزاد تعلقي بـالـقـراءة مـن خـلال فـهـمـي لمـا أقـرأ. فـقـد كـنـت مـفـتـونـة بـالـلـغـة الـعـربـيـة ومـا يصاغ من خلالها مـن مـعـان وصــــور جميلة، وعندما وصلت مرحلة الثانوية أخذت أشارك في تحرير مجلة الحائط المدرسية مع زميلاتي ومعلّمة اللغة العربية، ووجدت نفسي فيما أكتبه من مقالات وتعليقات في هذه المجلة المتواضعة، التي لفتت انتباه الإدارة مما زاد اهتمام الجميع بي وأحسست عندها بالمسؤولية الكبيرة للكتابة، وأخذت أحاسب نفسي على كل ما أكتبه قبل أن يحاسبني الآخرون، ورغم تخصصي العلمي فقد اخترت الصحافة مادة لدراستي الجامعية وخلال سنوات الدراسة شاركت مشاركة فاعلة بنشرة – صحافة اليرموك– فقد كنت أكتب المقال والقصة وأُجري التحقيقات والمقابلات والريبورتاجات الصحفية الكثيرة. في هذه المرحلة أحسست أنني بحاجة إلى الكتابة خاصة بعد تخرجي في الجامعة فبدأت بكتابة القصة القصيرة التي تستهويني أكثر من غيرها من الأجناس الأدبية رغم أنه كانت لي محاولات في كتابة الشعر الفصيح والعامي ولم يشغلني عملي في صحيفتي شيحان والشعب عن الاستمرار في مشروعي الإبداعي.



• تختزن ذاكرة المبدع كمّا هائلا من الصور الحياتية المعاشة والمتخيلة، ماذا يمثل لك هذا المخزون وكيف تتعاملين معه؟

– إن الذي يبدأ دون مخزون ثقافي إبداعي سينتهي إلى الفشل، لكن ليس المخزون وحده قادرا على خلق مبدع، إنه

سبب وليس نتيجة، إنه أرضية خصبة لكنه ليس مشروعًا إبداعيًا. هذا المفهوم للمخزون تعاملت معه كما فهمته واتكأت عليه رافدًا من روافد الكتابة وليس الكتابة ذاتها لأنه صورة الفعل وليس الفعل ذاته، واستطعت بما وهبني الله من موهبة أن أُوظف هذا المخزون في أعمالي القصصية حتى في كتاباتي للأطفال.

- **الكتابة للأطفال مسؤولية وطنية واجتماعية، ما هي أدواتك الإبداعية والعملية في هذا المجال؟**

– الطفل لم يغادرنا، إنه يعيش داخلنا، نحسُّ به ونتعامل معه دائمًا، ومن هذا المدرك فإنني أعي تماما دور الجميع تجاه الطفل خاصة المثلث التربوي كما يحلو لي أن أسميه البيت – المدرسة –الكاتب– فالطفل يتحرك ضمن هذه المنظومات الثلاث ومنها تتشكل شخصيته وهويته الإنسانية. من هنا أدرك تماما المسؤولية الكبيرة تجاه هذا المخلوق الذي نحبه، وكما قلت فقد أحسست بمسؤولية الكتابة قبل أن أفكر بالكتابة للطفل وازدادت هذه المسؤولية حين غامرت بالكتابة له مستعينة بكل موروث لفظي

أحسست بمسؤولية الكتابة قبل أن أفكر بالكتابة للطفل وازدادت هذه المسؤولية حين غامرت بالكتابة له مستعينة بكل موروث لفظي وكتابي وصوتي



وكتابي وصوتي سواء كان ما يخص المنهاج التربوي أو المفهوم الديني أو منظومة العادات والتقاليد وجمعت كل ذلك كأدوات إبداعية معتمدة على تمسكي باللغة العربية.

- **قصصك في المجموعة التي بين أيدينا مستوحاة من حكايات الجدّات، ماذا أضاف إليها قلمك؟ وهل كل ما روته الجدّات يصلح أن يُكتب للطفل؟**

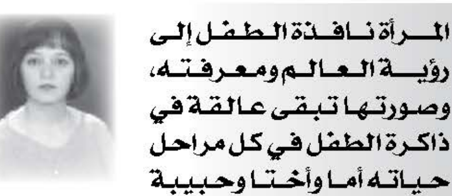
– حكايات الجدّات تحمل في داخلها قيمة إنسانية عليا ضمن مفاهيم تربوية ودينية ولكن الوصول إلى هذه القيمة العليا كان بأسلوب قد يجانب أحيانا الذوق العام أو قد يأتي بصور من غير المعقول عرضها على الطفل، من هنا كنت شديدة الانتباه إلى هذه المخاطر وحاولت أن أعمل على القيمة العليا بأسلوبي أنا مع الاحتفاظ بنكهة الحكايات بحيث تبقى عابقة بنفحات القصّ الشعبي.

• هذه الإجابة تقودنا إلى سؤال مهم ما زال صداه يتردد في هذه الأيام وهو أن وزارة التعليم في فلسطين أثارت زوبعة حول كتاب -قول يا طير- الذي يُدرّس الحكايات الشعبية بعد عرضها كاملة كما هي دون حذف، ما رأيك أنت في ذلك؟

– الدراسة أمر آخر، فيجب أن نُفرق بين الدراسة العلمية الأكاديمية وبين الكتابة للأطفال.. أنا أكتب للأطفال ليقرؤوا وهم يدرسون للتاريخ والتوثيق، أقصد من هذا أنا مع تثبيت الموروث القصصي كما هو عند دراسته من قبل المختصين، فالأمانة العلمية تحتم علينا ذلك. من هنا فأنا أرى أن ما أُثير حول الكتاب ومضمونه يدل على عجز في فهم الموروث الشعبي.

• نشرت بعض القصص القصيرة في مجلات أردنية، وجميعها تتحدث عن المرأة، هل ترى نجلاء حسون رابطًا بين المرأة والطفل؟

– المرأة نافذة الطفل إلى رؤية العالم ومعرفته، وصورتها تبقى عالقة في ذاكرة الطفل في كل مراحل حياته أما وأختا وحبيبة، وعليه فإننا لا نستطيع الحديث عن الطفل دون المرور





بالمرأة وقد سبقت قصصي القصيرة ما قدمته للطفل لاحقا من قصص شعبية.

• للمولود الأول نكهة خاصة، فما هي نكهة مولودك الأول -نعامة السلطان-؟

– لنعامة السلطان نكهة الحلم، وقد سررت جدًا عند ولادته، فقد عاشت معي القصص ذاتها فترات جميلة وعزيزة في حياتي، فمعظم هذه القصص كنت أرويها لطفلي الوحيد يزن قبل النوم ولكل منها حكاية معه والآن هو في الصف الثامن عاد إليها وأخذنا معًا نتذكر حكايات النوم.

• هل لك أن تحدثينا عن مشاريع جديدة تحلمين بها للأطفال؟

– كتابة قصة طويلة للأطفال باسم -عمان في عيون الأطفال- وعندي مجموعة كبيرة من القصص الشعبية أتمنى أن تصدر في كتاب جديد ضمن سلسلة واحدة.



المجاهد محمود الموسى العبيدات



إبراهيم السواعير *

غيرت الحرب العالمية الأولى، والثورة العربية الكبرى ملامح الحياة؛ حتى ملامح حياة الرجال؛ فأخذ الدركي العربي محل الدركي التركي، غاب الطربوش، ورفرفت الحطة العربية على رأس الجندي العربي، المبتسم للنصر العربي الجديد، ولم يعد السَّوْق العشوائي لأبناء القرية إلى مجاهل البلقان أو اليمن أوٍ عسير؛ بل أخذ التسابق شكلاً جميلاً بالانتساب للجيش العربي، الذي سمّي بالجيش الفيصلي... أما حياة محمود الموسى العبيدات؛ فمنذ الولادة وحتى الوفاة كانت مليئة بالفواجع؛ فهو من جيل الحرب الأولى، التي حرمته كل الأشياء الجميلة؛ حتى الشجرة الواقفة قطعها الأتراك ليصنعوا منها وقودًا لقطاراتهم!

جاءت ولادته في عام "الموت جوعًا"؛ كنتيجة لتحمل العرب أكثر من غيرهم، جراءً تورط الدولة العثمانية بالانحياز في الحرب إلى ألمانيا في الحرب التي أحرقت كلّ شيء، حتى الأعصاب العربية، ولم يسلم من أذاها، حتى الطفل الرضيع من جيل موسى العبيدات.

وكم طلب الرجل الشهادة، وقد بذل على ثرى القدس ما بذل،... ولكن مشيئة الله تقضي بأن تنتقل الروح الطاهرة إلى بارئها، وهو بين أبنائه،

* روائي وكاتب يعمل في الصحافة – الأردن.

في الحادي عشر من آذار، صباح الجمعة من العام ١٩٨٨، ليُسجّى الجسد الشريف، في كفرسوم، وعلى بعد أمتار قليلة من ضريح الشهيد الأردني الأول على تراب فلسطين الشيخ كايد المفلح العبيدات، ولتبقى الأرض المقدسة الطاهرة القاسم المشترك بين البطلين.

وسوف نطالع في هذه الرحلة إرهاصات النضال لدى العقيد، وجذوة المحيط، مرجئين تفاصيل حياته السياسية، ومعارك القدس التي سطرها التاريخ بماء الذهب، إلى رحلةٍ أخرى:

في كتابه الصادر عن مطبعة الصفدي، العام ١٩٩٩، يتناول المؤلف محمود سعد العبيدات، وهو كاتبٌ وباحثٌ في الدراسات التاريخية والفكرية والسياسية، سيرة حياة المجاهد بطل معارك القدس القديمة وفارسها العقيد الركن محمود الموسى العبيدات، في ثمانية فصول: "شيء من السيرة"، و "صفات ومزايا في شخصية محمود الموسى"، و "شيء عن القضية الفلسطينية"، و "يوميات حرب فلسطين ٤٨ في ذاكرة العقيد الموسى في المرحلة الأولى"، و "يوميات حرب فلسطين ٤٨ في ذاكرة الموسى/ المرحلة الأخيرة"، و "التوجه للعمل السياسي"، و "الاغتراب"، و "قالوا في محمود الموسى".

يُفصّل المؤلف في أولى صفحات الكتاب حول "العقيد"؛ الذي نشير به للتفريق بينه وبين المؤلف؛ إذ أن كليهما من العبيدات؛ فالعقيد هو "محمود بن موسى بن أسعد بن احمد بن بكار"؛ ويشير المؤلف إلى أن عائلة العبيدات تكاثرت في الشمال الأردني من ذرية الشيخ إبراهيم بن أحمد بن عبيد، ومن أخيه بكار، وقد أنجب الشيخ إبراهيم تسعة ذكور، وواحدة من الإناث هي "موزة"، أخت العبيدات ونخوتهم.

وتشكل ذرية "بكار"- بحسب المؤلف، التي منها العقيد- الفرع الثاني للعشيرة، ويقيم أفراد البكار في قرى: كفرسوم وحبراص وخرجا، وهم من ذرية أحمد ومحمد، الوالدين الوحيدين للشيخ "بكار"، عم الأخوة التسعة، أبناء أخيه إبراهيم. واسم بكّار جد لعشائر كثيرة، غير بكّار العبيدات.

ويشير المؤلف إلى أن العقيد محمود الموسى العبيدات، المعروف بـ "أبو هاني"، ولد في بلدة كفرسوم العام ١٩١٤، وهي

السنة التي ابتدأت فيها الحرب الأولى، وسجّل اسمه في دائرة نفوس قضاء إربد، محافظة حوران (درعا)، من رعايا الإمبراطورية العثمانية؛ وكانت ولادته بعد العودة من رحلة الهجرة التي هاجرها "البكاكرة" إلى "لوبيا" في فلسطين لمدة قاربت السنتين.

العقيد العبيدات، الذي نشأ يتيمًا، ولم يتمتع بطفولة الصبيان، ولم يستطع أحدٌ سدّ الفراغ بعد موت والده، وهو في الثالثة من عمره، عوّضه الله بأم فاضلة، سيّدة، بما تحمله الكلمة من معنى، وكان تزوج جده "موسى الأسعد" من ابنة عمه الشيخ "سعد الدين بن إبراهيم بن أحمد بن عبيد"، وهو مؤسس عشيرة العبيدات في قريتي حبراص والرفيد؛ فأنجبت منه أربعة من الذكور؛ بما فيهم والد العقيد، وكانوا يعيشون في قرية "بيت أرا" من قرى حوران، وسط احترام المحيطين، وفي ظلّ الثورات الشعبية ضد الدولة العثمانية، انتقل الأبناء إلى كفرسوم، وسط ثورة شبلي الأطرش، وحركة التمرد في اليمن "الإمام يحيى"، وثورة آل علي في شمال الجزيرة العربية، والحروب التي اشتعلت في البلقان، وظروف التجنيد الإجباري الماحقة.

ويشير المؤلف إلى أنّ العادة انتشرت عند العشائر الفلاحية والبدوية بالاعتزاز بـ "أخت الرجال"؛ وهي نخوة بالبنت المميزة برجاحة العقل والمشورة؛ لذلك كانت السيدة موزة العبيدات مثارًا لقول العقيد حين يصمم على الأمر العسير في معارك القدس "لحّد وأنا اخو موزة"؛ وهي الحال ذاتها عند "المجالية" الذين كانت "خضرة" نخوةً لهم، والحويطات، الذين كانوا ينتخون بـ "صالحة"، ويذكر المؤلف أن السيدة موزة تزوجت من "الشريدة"، مؤسس عشيرة الشريدة في الكورة، وكان هذا الزواج السبب المباشر في تنظيم التحالف العشائري بين العبيدات والشريدة، الذي قوّى من زعامة العبيدات في منطقة الشمال الأردني بعامة، ومنطقة الكفارات بخاصة، وقد جرت العادة أن يقول ابن الشريدة لابن العبيدات "خالي"، وما زال ذلك دارجًا.

والدته- بحسب المؤلف- هي الشيخة "سالمة الجريس" الحكيمة.. الراجحة العقل.. أما والدها جريس؛ فهو أحد أبطال العبيدات المعدودين؛ ويذكر المؤلف أن محمود الموسى كان

شاهدًا على بكاء الأطفال يوم "سمخ" المشهود في التاريخ العربي، ولن تغيب عن مخيلته جمع الأهالي من كلّ المناطق الأردنية، وحوران، والجولان وجبل الدروز، التي جاءت إلى كفرسوم لتودّع شهيد العرب الأول على تراب فلسطين يوم ٢٠ نيسان من عام ١٩٢٠، ويتذكر جيدًا كيف كانت النساء تبكي كايد المفلح العبيدات، الذي قضى شهيدًا مع تسعة أبطال من أقاربه ورفاقه فوق "تل الثعالب"، وهو يقود جيشًا شعبيًا من أهالي قرى عجلون والشمال الأردني.

وفي السياق، يشير المؤلف أن محمود الموسى العبيدات قبل أن يترفع إلى السنة السابعة من عمره، شهد أعظم حركة تآخي بين المجاهدين القادمين من سورية بقيادة المجاهد أحمد مريود، وبين أهالي قرية كفرسوم. وفي ظلّ ذلك نشأ جيل محمود الموسى العبيدات متشربًا كره الاستعمار، وكان لأهله ومعلميه الدور الأكبر في تشريبه الروح النضالية، وقد تعلم في "كُتّاب القرية" كفرسوم.. وجاور بعض شيوخ العمرية، وبدأ وهو في السابعة من عمره بالقراءة على "أبو علي العمري"، ثم انتقل إلى مدرسة كفرسوم التي تأسست العام ١٩٢٤، متجاوزًا التاسعة من عمره، وكان مستواها الصف الرابع فقط، وقد درّسه الأستاذ جميل الجراح، وحسني الناشف من دمشق، وصالح الريماوي من بيت ريما من رام الله، ومن زملائه الراحلين علي الكايد (ابن الشيخ كايد المفلح)، وعلي الحامد الملكاوي، ومحمد فندي عبيدات، ومحمد أحمد سلامة، وعربي العجاج العبيدات.. وفي مكتب الشيخ العمري حفظ القرآن الكريم، وتعلم أصول الكتابة والقراءة والحساب، وقد أحبّ الحساب جدًا.. كما أنهى دراسته الابتدائية من مدرسة كفرسوم وانتقل إلى إربد.. وفيها تميّز بالرياضيات.. وبعد أن قضى خمس سنوات.. انتقل في العام ١٩٢٩ للدراسة في عكا مبرّزًا في الرياضيات على يد الأساتذة يوسف الجابر، وأكرم زعيتر.. ثم انتقل للدراسة في مدرسة الجزار بعكا عام ١٩٢٩. وقد أمضى سنةً دراسيةً واحدةً في عكا، انتسب بعدها للجيش العربي الأردني عام ١٩٣٠.

يقول المؤلف إن الأستاذ أكرم زعيتر كان محبوبًا جدًا من قبل الطلبة بسبب اتجاهاته الوطنية، وحماسه للقضية الفلسطينية، ومنطقه الراجح، وكان منفيًا من نابلس إلى عكا بسبب اتجاهاته الوطنية،... أما العبيدات، فقد رأى انتفاضة "البراق"، ولم

يتجاوز الخامسة عشرة من عمره، ومنذئذ دخل محمود الموسى إلى رحاباً النضال العروبي من الباب الفلسطيني.

ويسوق المؤلف ما قاله أسعد عبد الرحمن في محمود الموسى العبيدات، ما مفاده: "لقد فتح محمود الموسى عينيه أول ما فتحهما، فوجد الأخلاق العربية في عائلته تتجلى بوضوح، وبشموخ أمامه. وما أن اجتاز مرحلةً الطفولة المبكرة ووضع قدمه على أولى درجات السلم الدراسي، حتى تفتحت عيون إدراكه الاجتماعي على العروبة ومن مداخل فلسطين في أغلبها؛ ففي مرحلة الدراسة الابتدائية تتلمذ على يد معلم عكاوي، وتثقف لدى مدرس ريماوي، وأرسى جذوره في حقل أستاذ دمشقي، ونما في دفء مُدَرّس عربي لبناني. وفي المرحلة اللاحقة تدرب في كنف مدرسة عكّاوية، ورأى من الباب الفلسطيني، ولذا لم يكن من المستغرب أن يصنع المجد لأمته ونفسه يوم دافع عن عاصمة العواصم، وكسب المعركة الوحيدة في تلك الحرب، ومنذئذ إلى كوكبة عبد القادر الحسينيً العربي الفلسطيني، وعز الدين القسام الفلسطيني السوري، وقد انضم محمود الموسى الفلسطيني الأردني ليؤكد مبكرًا أن الهوية الفلسطينية هي هوية نضالية قبل أن تكون سياسية".

ويذكر المؤلف أن وفاة العبيدات العقيد كانت في آذار من عام ١٩٨٨ في الساعة الثانية والنصف من صباح يوم الجمعة ١١ آذار، وفي هذا السياق ينقل ما قالته زوجة الراحل أم هاني عن الذبحة الصدرية، واجتماعه بأبنائه، وعلامات الفرح التي لا يعلمها إلا هو وهي، وقد دفن في كفرسوم.. فشيّعه الأهل والعشيرة ورفاق درب النضال الطويل. وعلى بعد أمتار قليلة من ضريح الشهيد الأردني الأول على تراب فلسطين الشيخ كايد المفلح العبيدات أقيم ضريح بطل فلسطين العقيد الركن محمود الموسى العبيدات لتبقى الأرض المقدسة القاسم المشترك بين البطلين.





"طريد الرمم" للروائي حسام الرشيد..
تعميق البنية السردية باللجوء إلى الموروث

هيا صالح *

تعتمد رواية "طريد الرمم" للكاتب الأردني حسام الرشيد (دار الكندي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧) على تقنية عرض الحكايات المتوالية، ورغم أن هذه الحكايات تبدو للوهلة الأولى متقطعة ومنفصلة الواحدة منها عن الأخريات، إلا أن في البنية العميقة لكلٍ منها رابطًا يجمعها كلها ضمن إطار واحد يعبر عن رؤية الكاتب، ويشكل بنية نصّية غير مألوفة يتداخل فيها الروائي بالحكائي بالقصصي، وتحقق الاتصال مع الواقعي بغية أسطرته.

تجري أحداث الرواية في الصحراء، حيث القبائل العربية التي تعيش قسوة الحياة وشظفها، وحيث الترحال الدائم للبحث عن الكلأ والماء، وحيث الاقتتال الذي تتجرع ويلاته القبائل المستضعَفة التي يُحكم عليها بدفع "الخراج" الذي يثقل كاهل أفرادها للقبائل الأقوى.

و"المتلمس" أو "طريد الرمم" هو الشخصية المحورية في الرواية؛ رجل مقدام وشجاع، يدافع عن المظلومين والضعفاء لتخليصهم من دفع "الخراج"، وهو ما يهدد مصالح شيوخ القبائل القوية، ولذا يحاولون قتله والخلاص منه بطرق مختلفة، كإشاعتهم بين القبائل قصصًا وأخبارًا تجعل من المتلمس مجرمًا يستحق القتل، ومطاردته أينما حلّ لاقتناص الفرصة المناسبة لرميه بالرصاص أو دفنه حيًا تحت التراب..

وتقارب الطرق المختلفة التي يسلكها

* ناقدة أدبية من الجيل الجديد – الأردن.

شيوخ القبائل لقتل المتلمس، بعض الأساليب التي حُورب فيها الرسل والأنبياء كما يرد في قصص القرآن الكريم، والأحاديث النبوية والموروث الديني بشكل عام، ومثال ذلك، أن أجمعت قبيلة "الرمم" على خطة ظنتها محكمة لقتل المتلمس اقترحها أحد أفراد القبيلة هو "خنفر" الذي يملك حيلة ودهاء كبيرين، وهي، أي خطته، تتعالق مع ما أجمعت عليه قبيلة "قريش" للخلاص من الرسول محمد عليه السلام: "سيدي الشيخ، أرى الفرصة مؤاتية الآن لقتل المتلمس، في قبيلتنا خمسة أفخاذ، نختار من كل فخذ فارسًا مغوارًا فإذا اجتمع لدينا خمسة فرسان ترصّدوا له عندما يخرج من خيمته فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين أفخاذهم، فلا يقدر أعمامه في الحفاة أو أخواله في السارحة على المطالبة بدية أو ثأر، ولا أخال عمه الكناني المغلوب على أمره أو خاله ابن خديج الغارق إلى أذنيه في متابعة أخبار قوافله الذاهبة إلى الشمال والجنوب في رحلتَي الصيف والشتاء بمتلفت إليه ولو قمنا بتقطيعه إربًا إربًا" (ص ٦٦)، لكنه، وإن كانت "قريش" قد نفذّت خطتها، إلا أن قبيلة "الرمم" لم تنفذها خوفًا من غضب أقارب المتلمس ومن يصطف إلى جواره في معركته ضد الظلم.



ومن ذلك أيضًا طَرْدُهم المتلمسَ وعَقْرُهم ناقتَهُ بعد أن قبضوا عليه ووثقوا رباطه على شجرة نخيل، فتكونٍ لعنة قتل الناقة عليهم وبالاً، وذلك ما يقارب في الموروث الديني قصة النبي صالح عليه السلام: "على مرأى من عينيه اقتربوا من ناقته وقد أرادوا أن يمسوها بسوء فلم يذروها تأكل من أرض الله، رموا ضرعها بأربعة أسهم فرغت رغاء الموت وخرّت على الرمال متخبطة في بحر من الدماء" (ص ١٩٨).

وقد استدعى اتكاء بعض أحداث الرواية على التراث الديني، استثمارًا مكثفًا للغة القرآن الكريم، من مثل: "كأنهم أعجاز نخل خاوية" (ص ٦٢)، و "ألقوا عصيهم فإذا بها أفاع تسعى" (ص ١٩٢)، و"يا ليتني متُّ قبل هذا اليوم وكنت نسيًا منسيا" (ص ٢٠٢).

وتبدو شخصية المتلمس عجائبية

وشبحية أحيانًا، وذلك لأنها تمثل قوى الخير في مواجهة قوى الظلم والشر التي تمتلك قدرات خارقة وأسطورية كشخصية أحد جنود الواصفي الذي يمسك بالمتلمس، إذ إن هذا الجندي "ينام بإحدى المقلتين والأخرى يقظى، حتى تكتفي العين النائمة من النوم، فيفتحها وينام بالأخرى، ليحرس باليقظى ويستريح بالنائمة" (ص ١٩٨). وتمتلك شخصية المتلمس قوى سحرية تتطور باتجاهٍ يختصر التسلسل الطبيعي للأحداث متيحًا له الإتيان بما هو خارق، وبما يحقق رؤية الرواية القائمة في بنيتها الكلية على ما يمكن وصفه بـ "صراع الخير والشر".

وتتجاوز الوقائع والأحداث المتلاحقة في الرواية البنى المنطقية أو الموضوعية جانحةً إلى الانفعالية الملحمية التي تُظهر الشخصية المحورية كنموذج للإنسان الساعي إلى بلوغ الحكمة والمعرفة والكمال الإنسانيٍ في أبهى صوره، والتي تتجاوز أيضًا الحسي والمشاهَد وتستدعي عوالِمَ الجن والشياطين وقوى الطبيعة غير المألوفة.

وتلك القوى تبدو خاتمًا في يد المتلمس ووسيلة لتحقيق الخلاص من الظلم البشري، فهي تساعد المتلمس وتخلّصه من أن يُقتل على أيدي شيوخ القبائل الذين يتفقون على قسمة جسده بعد قتله، منهم من يأخذ اليدين ومنهم من يأخذ الرجلين، ومنهم من يريد الرأس: "عند انبلاج الصبح مضى القادة الأربعة إلى شجرة النخيل المربوط بها المتلمس لقتله، واقتسام جسده فيما بينهم.. لكنهم قبل وصولهم رأوا جثة متدلية من جذع نخل سامقة وثمة دراهم متناثرات أسفلها، اقتربوا من الجثة ليروا من صاحبها، ملكهم العجب عندما رأوا الأعرابي الذي قادهم إلى المتلمس وابن صعصعة قد شنق نفسه" (ص ٢٠٠)، فقد حمته قوى الطبيعة من أيديهم وأمام أعينهم وهو ما جعلهم "يحملقون في وجوه بعضهم بعضًا وهم يتساءلون بمرارة.. كأن طائرًا خرافيًا حلق به إلى ظاهر السماء أو غولاً شرهًا غار به إلى باطن الأرض" (ص ٢٠٢)، وهو ما يُحسب انتصارًا لما يمثله المتلمس من حق، على ما يمثله شيوخ القبائل وأعوانهم من باطل.

وتبدو الرواية نموذجًا مناسبًا للاستناد إلى الموروث الديني والشعبي، وتوظيف السير الملحمية والقصص الغرائبية والعجائبية، والإفادة من إمكاناتها جميعًا في تعميق البنية السردية للرواية بأبعادها الأسطورية والميثيولوجية بلغة ظلت قادرة على مدار صفحات الرواية على حمل رؤية تنويرية ورسالة إنسانية سامية.

رواية: تقوى مساعدة

عندما جاء البحر

هبة سلطان *

تحكي هذه الرواية قصة الشاب حسين الذي خرج مسرعًا إلى البحر الأحمر ينتظر قدوم العبّارة "سلام" التي تقل محبوبته... وطال انتظاره فلجأ إلى كسر حاجز الصمت بالتعرف إلى غيره ممن ينتظر قدوم أقاربهم وأصحابهم، ولكن انتظارهم يطول حتى نهاية العمر، فالأمل الذي كان، أصبح حزنًا يضاف إلى الجروح والآلام.

البحر في هذه الرواية لم يكن البحر الذي نعرفه؛ إنما هو التجربة الإنسانية الواسعة، فالحديث في هذه الرواية حديث عن الذّات وما ينتابها من حزن وفرح وضعف وقوة وجميع الانفعالات النفسية، وهنا يحدث التماس مع البحر بهدوئه وغضبه ورقته وصخبه، فالحديث هنا حديث عن الحياة. فالبحر سرّ كبير نحاول أن ندفن أسرارنا الصغيرة فيه، ونبحث عمّا فيه من أسرار ونحاول إيجاد العلاقة بيننا وبينه، هو اللغز الذي حير الكتّاب والمفكّرين والعشاق والمحزونين الذين يشدون الرحال إليه كلما ضاقت صدورهم.

والرحلة البحرية في هذه الرواية رحلة نحو الأعماق ومن ثم البحث عن الشاطئ، فهل جاء البحر، أم أننا أردنا الغوص فغرقنا على اليابسة؟

تعدّ هذه الرواية من الروايات التي تبحث عن النفس وأسرارها، ونستطيع القول بأنها رواية الحوار الداخلي، فكل شخصية من شخصيات هذه الرواية تعبر عن أحداثها بما تدونه من مذكرات، أما الحوار بينها فقد كان قليلاً، وهذا يجعل القارئ يحسّ بقرب الشخصيات فحديث

* من الأقلام الجديدة في مجال النقد – طالبة ماجستير – الأردن.

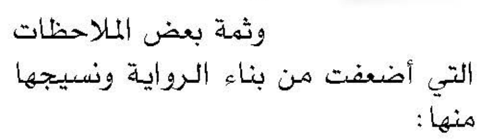
النفس لذاتها غالبًا ما يكون صادقًا ومرهفًا تجتمع فيه كلّ الثنائيات والمتناقضات.

والنسيج الداخلي لهذه الرواية سرد للأحداث التي وقعت مع الشخصيات بصورة منفردة تحمل طابعًا خاصًا من حيث الصياغة والمضمون، والزمن السردي يتراوح بين الماضي والحاضر.

إن غرق السفينة وموت من فيها ونجاة البعض هو الحدث التي تدور حوله أحداث الرواية. واكتسب هذا الحدث أهميته من الشخصيات التي شكل لها غرق السفينة مأزقًا نفسيًا، فها هي الآمال والأحلام المتجسدة في ركاب السفينة تتجمد في عرض البحر وتذوب فيه، ويبدأ البحث عن قارب للنجاة، إنه غرق للروح التي تسكن النفوس قبل غرق السفينة.

ويتزامن مع أحداث غرق العبارة مباراة كرة القدم، ويتشابه الموقفان، فأمواج الجماهير يعتريها الصخب والهدوء، والخوف المصحوب بأمل، وكأن روحها معلقة بفوز الفريق المصري، إن روح الشعب المصري مجبولة بحب كرة القدم، فإما النجاة وإما الغرق.

ولعلّ المراد ذكره في هذه الرواية يتلخص في أن موت الأمل لا يعني توقف الحياة، فالحياة تمضي مع الآمال ودونها، ومن نجا من الموت في البحر فإن مصرعه ينتظره في مكان آخر، ولعلّ البحر في سكونه و ثورانه يعبر عما يشهد من أحداث، فالبحر لم يجع يومًا، إنما هي الأقدار التي شاءت أن يكون مصير البعض في البحر، فالبحر كأي مكان لا نستطيع أن نتنبأ بما يمكن أن يحصل فيه. ولهذا فإن موت حبيبة حسين وغرق أحلامه لم يكن عائقًا في مسيرة الحياة، فحياته مضت وها قد تزوج وأنجب، وكل ما مضى يبقى ذكرى قد تبعث فينا الحياة وقد تسلبنا إياها، وتشاء الصدف أن يموت حسين على شاطئ البحر الذي ماتت فيه محبوبته. ويبقى البحر الشاهد الأزلي على تلك الأحداث.



وثمة بعض الملاحظات التي أضعفت من بناء الرواية ونسيجها منها:

• العنوان: "عندما جاع البحر" رحلة العبارة سلام ٩٨ نحو القاع كما أتخيلها.

– كان يفترض ترك العنوان "عندما جاع البحر" فقط دون أي تفاصيل فكثرة التفاصيل تقتل المضمون، فالعنوان "عندما جاع البحر" يخفي بين تلافيفه عددًا من الأسئلة التي تغني النص وتزيد من

التشويق والإثارة فعندما جاء التفصيل بعده قتل تميز العنوان والتشويق داخل النص الروائي.

• **الشخصيات:**

– طريقة عرض الشخصيات ليست طريقة روائية إنما تشبه العرض المسرحي، فقد تم عرض الشخصيات بشكل مباشر كما في بداية الرواية عندما تم التعريف بشخصية سلمى الظاهر وبيومي عبد الصمد وعلي عبد الصمد؛ إذ يجب أن يكون عرض الشخصيات تلقائيًا مع أحداث الرواية.

• **الحواشي:**

– يوجد داخل النص الروائي عدد من الحواشي تُفسّر وتُفصح عن بعض العبارات والأسماء المذكورة داخل النص. النص الروائي يجب ألا يُفَسَّر، على الروائي أن يكتب نصّه وعلى القارئ والناقد فهم النص وفك رموزه. فالقارئ يحسّ بتدخل الكاتب في نصه وهذا يضعف من تماسك البناء النصي وكذلك نلاحظ إقحام بعض الشخصيات مثل شخصية "هشام عباس". وكذلك نلاحظ كثرة النصوص المقتبسة، وهذا يضعف النص، فمن الجميل اقتباس النصوص وحسن توظيفها ولكن هنا نلاحظ أن النصوص المقتبسة مشار إليها بشكل مباشر وهذا يقلل من قيمتها. وكأن القارئ يشعر بأن الكاتب يريد أن يظهر ثقافته وهذا غير مطلوب في العمل الأدبي، إذ ليس بالضرورة تأكيد كل قول بنص خارجي والإشارة إلى كاتبه.

• **اللغة:**

– امتزجت اللغة الفصحى في هذه الرواية باللهجة المصرية، فلا يكاد القارئ يُميّز بينهما في بعض المواضع في النص الروائي، فقد استخدمت المؤلفة اللهجة المصرية وهي ليست بنت هذه اللهجة، فوقعت في بعض الهنات أثناء الصياغة والتعبير، وهذا ليس بالأمر اليسير لمن لا يمارسها، وهنا نلاحظ إبداع المؤلفة في تمثلها لهذه اللهجة، ولكن القارئ لهذه الرواية يلاحظ وجود بعض الكلمات التي لا يمكن لأي مصري أن يستخدمها. مثل "معتوه" هدف "غول". إن التعبير باللغة العربية الفصحى كان أقوى وهو الذي أعطى النص البعد الفكري والنفسي.

ومما لا شك فيه أن هذا العمل فيه إبداع واضح، فليس من السهل الإقدام على عمل كهذا، وليس من السهل الحديث عن البحر وعلاقته ببني البشر، إن العمل الروائي يختلف عن غيره من الأعمال الأدبية إذ يتطلب من كاتبه أن يكون له خبرة وتجربة عميقة في الحياة وأن يكون التقى بتجارب الآخرين، وهذا يتطلب مرور زمن طويل على الإنسان حتى يتمكن من كتابة الرواية. أما كاتبة هذه الروية فهي في مقتبل العمر وأظن أن قدرتها على كتابة الرواية كانت بسبب كثرة القراءة وخاصة الروايات ومتابعة الأحداث والأخبار وسعة الخيال مما جعلها قادرة على تمثل التجارب الإنسانية والكتابة عنها.

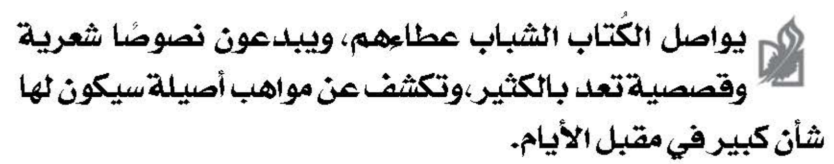




كتابات العدد الماضي

مواهب أصيلة تصنع أسماء مبدعيها


محمد ضمرة *


يواصل الكُتاب الشباب عطاءهم، ويبدعون نصوصًا شعرية وقصصية تعد بالكثير، وتكشف عن مواهب أصيلة سيكون لها شأن كبير في مقبل الأيام.

• قصيدتان: سارة عدنان محمد العز

نصان جميلان، يحملان تباشير الحداثة ويفيضان بالصور الشعرية الجميلة والمبتكرة.

- خيوط تحمل في أحشائي عمرًا منك.
- خبأنا العيوب في صندوق موسيقا صغير.
- هذه الصور جاءت في القصيدة الأولى تحت عنوان حين أذكره، أقول ذلك لأدلل على العلاقة القائمة بين النص والعنوان.

وأما في النصّ الثاني "دعوة لإعادة الخلق" فالعنوان يومئ بالكلية والشمولية، ولكن الموضوع غير ذلك، فهي دعوة لإعادة خلقها فقط، وقد جاءت القصيدة أطول من الأولى، وتستحق أن تكون قصيدة مستقلة، ولكن الخيط الذي يربط بين النصين، جعل الشاعرة تقيم بينهما هذه العلاقة القصدية.

والعلاقة مع الآخر هي الشحنة الشعرية التي كشفت عن هيكلية النص، ولهذا جاء النص في نهايته على شكل استغاثة، حتى لو كانت

* شاعر، عضو هيئة تحرير المجلة – الأردن.

المفردة تدل على فعل الأمر المباشر.

اخلقني من جديد

اخلقني من جديد

- **عزف خارج النص: أمينة أبو دهاك**

أعترف سريعًا بعد قراءة هذه النصوص لأمينة، أنني أقف أمام عازفة ماهرة، تجيد ما تفعله بحرفية وبذكاء وبرؤية ثقافية متميزة.

جمل قصيرة، لكنها محتشدة بالمعاني الكثيرة، عميقة، وبعيدة الأبعاد والدلالات.

المبدع عليه أن يُجلّي ثقافته، أو تتجلى ثقافته عبر إبداعه.

هكذا فعلت أمينة في نصوصها الجديدة

الصداقة خيار المهزومين.

- وحين قابلته للمرة الثانية، كان أقصر بنصف متر من الشوقٍ إليه، فسألت إن كان نسي نصف المتر حتى لا يُقبلني، أو تراني أزداد طولاً كلّما قبلته.

يا لها من مفارقات، ومن شعرية معبرة، فكل جملة في النصّ، تتسع لعبارات غائبة، ولا بد من تغييبها، حتى لا تفسد هذه المساحة التي يطارد فيها الخيال ويتسابق مع خيالات أخرى.

موهبة كشفت عن ذاتها دفعة واحدة، والنص هو الكشّاف المضيء عن قدرة إبداعية أصيلة.

- **أجراس المساء: فايز محمد السلايطة**

ليس بالموضوع وحده تحيا القصة، وليس بالأسلوب وحده أيضًا تكتمل الحكاية، إذ لا بد من الموضوع الجيد والمضمون الملائم أعني الأسلوب القصصي والفني، وامتلاك التقنيات الفاعلة والخلاقة.

أقول ذلك، بعد قراءتي لقصة "أجراس المساء" فأجدني مرة أقف مع الموضوع ثم أجد نفسي تارة أخرى مع السرد، وربما يدل هذا على نجاح القصة وتميّزها، فالقاص ذو خيال رائع يستطيع تصوير المرئي من زوايا متعددة.

وهو قادر على إبراز ذلك بصور شعرية وخيال واسع. وإدخال الحس

الشعبي والتراثي في القصة له مكانته.

والمهم هو الصراع القائم بين ما يتمناه المرء، وبين واقعه الاجتماعي، وهذه الفجوة بين الحلم والعائدين له باستمرار.

أعتقد أن فايز محمد السلايطة يمتلك موهبة إبداعية تؤهله لكتابة نصوص أكثر نضجًا، وأجمل مما قرأته.

- **سلام عليك: مليكة صراري**

قصيدة منسابة عبر موسيقا خارجية متقنة، وعبر موسيقا داخلية، تدل على أن صاحبة النص شاعرة مبدعة.

لعطر الخزامى
إذا ما مررت
تساقط شهدًا على راحتيا

وقد حاولت الشاعرة ببراءة ودون جهد الإبقاء على هذه القافية المليئة بالحنان والعاطفة، إضافة إلى دلالاتها الأخرى المرتبطة بياء المتكلم، ذلك لأنها تخاطب الآخر، فلا بد إذن من الإبقاء على الذات المقابلة.

ومع أن الشاعرة قد كررت حرف الشرط غير الجازم وهو "إذا"، معلنة عن أهمية ارتباط السبب بالمسبب، أو المقدمة بالنتيجة، إلاّ أن ذلك لم يضعف المعنى، ولا يدل أبدًا على ضيق في الشعرية أو الابتكار. لكنها أردات ذلك بقصدية محببة

سلام إذا ما عبرت
أُحسّ بأني
تفجرت نهرًا

والنهر دال على العطاء والجريان وهو سبب للخصوبة والاخضرار واستمرارية الحياة في أبهى صورها الجميلة.

- **أغاريد لهذا السفر: إيمان عبد الهادي**

تستوقف القصيدة المتلقي على مفاصل مهمة، تبدو للوهلة الأولى وكأنها محطات تتباعد بينها المسافات، لكن الحقيقة غير ذلك، لأن في تأملها وإعادة قراءتها، ما يتيح لاكتشاف الروابط القوية، والتواصل السري، أو التواصل الغائب الحاضر في أحايين كثيرة.

أي يوم من العمر

والعمر يوم

خبا جرحه في المدى واستراح

وإذا كان المقطع المشار إليه مع جماليته يدل على تقريرية واضحة، إلا أن هذه التقريرية تتلاشى، حينما تسأل عن عمر أبيها فتقول:

وفي أي يوم تبرع

أن تستقيل أبوته من دمي؟

ثم قالوا:

أبي صار عمرًا

المقاطع الشعرية الخمسة التي انطلقت فيها القصيدة جميلة ومرتبطة، ومتسعة لصور شعرية، في لغة منفعلة وراقية، كذلك للموسيقا دور جاد ومؤثر في إثارة اللغة، مفردات وجملاً تتناسق في لحن يتماوج حسب المؤثرات النفسية.

ومع التقدير لهذه الموهبة المتوهجة، إلا أنني أتأمل أن لا تكون القافية عامل ضغط على مسيرة القصيدة، لتظل منسابة بعفوية، وتفرض نفسها دون قيود أو إعاقات.

- **الذيل: ليلى يوسف القواسمة**

الفوارق بشتى أنواعها، هي وحدها التي تؤرق الإنسان، سواء كانت هذه الفوارق اقتصادية أو اجتماعية أو حتى في المظهر والخلقة، ومن هذا المنطلق نشأت مقولة: الموت مع الجماعة رحمة.

في قصة "الذيل" تلعب القاصة ليلى القواسمة على هذا الموضوع، بأسلوب جميل وجاذب، حيث البناء القصصي المتمثل في الكشف عن السبب أو الأسباب التي أدت إلى بروز بدايات الذيل، ثم الاستمرار في إطالته مع كل مناسبة أو سبب، ليكشف صاحب الذيل في النهاية الشكل الجديد الذي بدأ يصاحبه، وحينما تذهله المفاجأة الجديدة يقرر الاعتزال، ولكن العزلة لا تعطيه معنى للحياة، فيقرر المغامرة والخروج، ليتبيّن المفاجأة غير المتوقعة، ولكنها هذه المرة لا تذهله أو تدهشه، وإنما تُريه واقعه المتساوي مع الجميع، وحينها يبدأ مزاولة حياته منسجمًا مع الرؤية للواقع المعاش.



إنها صورة جميلة، بأسلوب قصصي جميل مدهش، وكنت أتمنى لو أن مدير الشركة رآه بالصورة التي رأى بها الشخص الآخر أو الآخرين.

- **تمزقني كلماتك: لانا القطيفان**

عنوان القصيدة ممتلئ بضمير المخاطب الفاعل للفعل المضارع والدال على الاستمرار، فالعلاقة إذن بين الذات والآخر هي موضوعة القصيدة.

ولأن هذه العلاقة القائمة ليست حدثاً طارئاً، وإنما هي مبتدئة منذ فترة مجهولة، فقد حرصت الشاعرة على ابتداء القصيدة بالجملة الحالية فقالت،

وخلفك النظرات الملتهبة
عدت إلى مقعدك
سكبت شِعرك
وأرسلت تنهيداتك

وقد حافظت الشاعرة على استمرارية اللعب على الفعل المضارع، فتسرع، تمزقني، يتطاير، فأعدو، وأنت تمضي، فتلقي في أمسية، إلا أن المفارقة جاءت في نهاية القصيدة، حيث جاءت النهاية.

كنت ختمت بها
دفن أشلائي
ونثرت ورودي
وصفقت إعجابًا دوني

وكأن هذا الحاضر الذي ظل متخيلاً أو قائمًا في صورة الواقع، قد انصفق خلفه الباب، وجاءت النهاية على صورة ذوبان الحلم الجليدي، وانقشاع الليل على نهاية فترة التصور، والتخيل أو الحلم الجميل.

- **أسود وأبيض: زينة لوقا دبابنة**

القضايا الاجتماعية، من أهم القضايا التي تُؤرق المبدع، وقضايا الصراع الطبقي من أهمها طبعًا، لكن زينة ذهبت إلى أبعد من ذلك في قصتها أسود وأبيض، فعنوان القصة للوهلة الأولى، لا يشي بموضوع القصة، وبعد الانتهاء من قراءتها يتبين القارئ العلاقة القائمة بين الموضوع وعنوان النص أو السرد.



إنها قضية التمييز العنصري أو اللوني إن صحّ التعبير، وقد ظلت هذه القضية قائمة وتشتد حيناً ثم تخبو أحياناً، وفي هذا العصر نرى أن القضية قد تلاشت تقريبًا، وإذا كان لها بقايا ما، فإن هذه البقايا ليست في مجتمعنا طبعًا.

وعلى كل حال فإن القصة تسرد حدثًا عاديًا لا يحمل مفاجآت مدهشة، ولغة الكاتبة جميلة، وسردها يقوم على أسلوب محتشد بالحوارات الساخنة.

وموضوع القصة يبقى مهمًا، كونه يعتمد على الانفعال المنبثق من حرية الصراع. فالعلاقات المتضادة أو المختلفة من أهم مكونات السرد .

نأمل أن تكتب القاصة على هذا الشكل الصراعي بأسلوب أجمل وبتصور لما في الواقع الاجتماعي المعاش.

- **كلنا نريدك: زينب علي البحراني**

الهروب من واقع مرير متسلط إلى خلق واقع جديد عكسي، يعكس الحالة النفسية المستعصية على الحل. فحينما تنغلق الأبواب، وتتهدم الجسور بين الشخص والآخر، أو بينه وبين مروج الحياة، فلا بد إذن من خلق عالم جديد، حتى ولو كان ذلك من صنع الخيال، أو الضحك على الذات.

لكن الشيء الجديد والحديث في قصة زينب هو واقعية القصة وإمكانية توأمتها مع الرمزية. وأعتقد أن هذا الفن القصصي ليس بالأمر اليسير، فإذا قُرئت القصة على الصورة الواقعية، فإن ما ذكرته في البداية هو النتيجة المباشرة للقراءة.

وأما إذا قُرئت من الزاوية الرمزية، فتصبح لها دلالات وأبعاد أخرى كثيرة ومتعددة.

وأعتقد أن زينب قاصة قادرة على العطاء، وقد عودتنا على صورها الجديدة، وقصصها الرائعة بأسلوبية سردية حديثة، وحوارات ناضجة إضافة إلى الصور الشعرية المنتشرة في ثنايا القص. لتنال حظوتها في ساحة الإبداع القصصي.



شارع شفيق ارشيدات في إربد

أشهر شارع إنترنت في العالم



صالح دبّور*

استطاعت مدينة إربد عروس الشمال الأردني أن تدخل موسوعة غينيس للأرقام القياسية لا لكونها من أهدأ مدن العالم، فمدن العالم الهادئة كثيرة جدًا، ولا لكونها قدمت للأردن ثلاثة رؤساء للوزارات وسبعين وزيرًا ومئة واثنين وعشرين نائبًا وخمسة وثمانين عينًا على مدار سنوات تاريخ الأردن الحديث الذي بدأ مع تأسيس الإمارة وحتى اليوم. ولا لكونها قدمت بدعة حرصت على أن تكون الأكبر عالميًا، حيث تفاخر بعض الشعوب بإعداد أكبر كعكة في العالم أو إعداد أكبر وليمة شهدها التاريخ.

ليس هذا ولا ذاك، بل لأن إربد اختارت لها دورًا أرفع شأنًا. إنه الإنجاز المربوط بالعلم في آخر صورة. فقد أرادت لنفسها إنجازًا يدوم، فقد استطاعت من حيث لا تدري وعن غير قصد منها أو تخطيط مسبق أن تدخل عالم الإبداع لا الابتداع لتحتل مكانًا لها في موسوعة غينيس. وهذا أمر جنبّها الوقوع في دائرة التظاهر والتباهي وأسقط عنها وزر حب الظهور. فقد سعت الموسوعة إلى إربد لتسجل أن شارع شفيق ارشيدات دخل الموسوعة العالمية غينيس للأرقام القياسية بسبب



* من الأقلام الجديدة في مجال القصة القصيرة – معلم – الأردن.

تحقيقه للرقم الأعلى عالميًا من حيث عدد محلات الانترنت الموجودة على أحد جنبيه.

● بدايات الشارع

كان هذا الشارع شبه خال. الوحشة طابعه ليلاً والهدوء بل الصمت عابره شبه الوحيد نهارًا. فهو شارع خارجي يقع على أطراف مدينة إربد من الناحية الشرقية الشمالية. بقي محافظًا على طابعه الفلاحي هذا حتى سكنت أحد جنبيه الذي لا يتعدى الاثنين من الكيلومترات ثانية جامعات الأردن الحكومية، إنها جامعة اليرموك. فبدأ الشارع وبالتدريج يتحول إلى شارع خدمات ليلائم متطلبات الشباب الجامعي من مكتبات ومكاتب تقدم الخدمات المتعلقة بالبحوث العلمية والأدبية التي يعنى بها التعليم الجامعي. وبعد سنوات كبرت وتوسعت الأحياء التي تحتضن هذا الشارع لأكثر من سبب، السبب الأول هو إنشاء شقق سكنية لإيواء الطلبة الجامعيين القادمين من المحافظات البعيدة عن إربد، وأيضًا الطلاب العرب القادمين من الدول العربية (وخصوصًا دول الخليج) وهؤلاء الطلبة المغتربون من أردنيين وعرب تربو نسبتهم على السبعين في المئة من طلاب جامعة اليرموك وهذا يعني بلغة الأرقام أكثر من عشرة آلاف طالب جامعي.

السبب الثاني: سعي العديد من



السكان إلى بناء بيوتهم بالقرب من الجامعة، فالجامعات في الأردن وغير الأردن تعتبر من أسباب الجذب السكاني، وبقي الشارع شارعًا عاديًا يتطور تطورًا طبيعيًا كشارع خدمات جامعي خلال مدة تزيد عن الربع قرن ولكن ما الذي حصل؟

إنها خدمة الإنترنت. هذه الخدمة التي دخلت الأردن عام ١٩٩٥م، ففي البداية افتتحت أربع محلات (للإنترنت) في هذا الشارع. واستمرت هذه المحلات الأربعة لا يزاحمها غيرها لمدة سنة. ولكن ودون سابق إنذار بدأ العدد بالارتفاع وبوتيرة سريعة لا مثيل لها محليًا أو



حتى عالميًا وما هي إلا بضع سنين حتى أصبح الشارع يحوي ما يزيد عن المئة والستين محلا عام٢٠٠٢ وهذا عام دخول الشارع في موسوعة غينيس، في بقعة مكانية لا تزيد عن النصف كيلو متر في جانب واحد من هذا الشارع، وهو الجانب المقابل للجامعة، حيث احتل الجزء الأكبر منها الطابق الثاني والثالث من البنايات التجارية القائمة وكانت المحلات الأخرى (المطاعم والمكتبات ومحلات الأزياء والبقالات) قد احتلت الطوابق الأولى.

وظل الشارع يشهد حالات افتتاح للمحلات الخاصة بهذه الخدمة وفي المقابل حالات إغلاق لمحلات أخرى الأمر الذي أدى إلى حركة نشطة غير مسبوقة في هذا المجال، لدرجة أن عدد المحلات الخاصة بالإنترنت بلغ أكثر من مئة وثمانين محلاً (ما بين مفتوح ومغلق) يرتادها على مدار الـ٢٤ ساعة عدد من الشبان (ذكورًا وإناثًا) يزيد عن العشرين ألفًا -تتراوح أعمارهم ما بين الستة عشرة سنة إلى الأربع والعشرين سنة- بشكل عام، وهم مصنفون على النحو التالي:

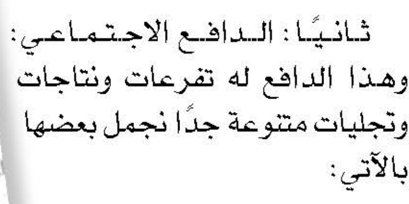
أ- الفئة الأولى:

طلاب الثانوية: وجلهم يتردد على مواقع التسلية والترفيه من ألعاب رياضية ومعارك خيالية ومغامرات. ومنهم من يتردد على المواقع الإباحية -إن استطاع إلى ذلك سبيلاً في خلسة أو عند غياب الرقيب أو توهم بانعدام الحسيب- هذا إضافة إلى انتشار ظاهرة الإدمان على عادة الدردشة عبر الانترنت (Net Chatting).

ب - الطلاب الجامعيون:

وهم الغالبية العظمى من المرتادين لمقاهي الانترنت وهذه الفئة تقودها إلى تلك المقاهي دوافع عديدة يمكن ذكر أهمها على النحو التالي:

أولاً: البحث عن المعلومة -علمية كانت أو أدبية أو دينية- وهذا أمر طبيعي تفرضه الواجبات والنشاطات الجامعية من دراسات وأعمال ومطالعات وأيضًا إجابات على أسئلة ومعلومات يتلقاها معظم المهتمين على صناديق البريد الإلكتروني علاوة على التحاق عدد لا بأس به من الطلاب بالجامعات المفتوحة التي تعتمد بشكل أساسي على المراسلات والتواصل عن بعد.





ثانيًا: الدافع الاجتماعي: وهذا الدافع له تفرعات ونتاجات وتجليات متنوعة جدًا نجمل بعضها بالآتي:

١- الحوافز: يشكل التواصل عبر الإنترنت عددًا لا محصورًا من العلاقات الاجتماعية لا تعرف حدودًا ولا جوازات سفر ولا تعرف لونًا أو طبقة أو حتى معتقدًا. وهذا يشبع رغبة العديد من الشباب الشغوفين بالتواصل الاجتماعي سعيًا وراء الصداقات مع كلا الجنسين. ومن اللافت للنظر نشوء ظاهرة لم تخطر على بال أحد قبل الدخول إلى عالم الانترنت هذا، إنها ظاهرة التعارف المؤدي إلى الزواج -وخصوصًا من الأجنبيات- وهذه الظاهرة وبما نجم عنها من تجارب زواج ناجحة، جاءت بحلول فضلى للعديد من الشبان ممن يعاني معظمهم من مشكلة البطالة أو من مشكلة الأجور المتدنية، فقد نجحوا في الحصول على الإقامات في دول متقدمة صناعيًا مثل أمريكا وأوروبا الغربية. وذلك عن طريق مساعدة زوجاتهم من تلك الدول.

٢- ملء أوقات الفراغ:

نظرًا لكون معظم طلاب جامعة اليرموك من الطلاب المغتربين فإن أوقات الفراغ تشكل عبئًا على هؤلاء الطلاب، لذلك تجد الغالبية العظمى منهم نفسها بحاجة إلى شيء تملأ به وقتها، وتعوض به عن حاجاتها الاجتماعية بعيدًا عن ذويها : فوجدت في مقاهي الإنترنت ضالتها .

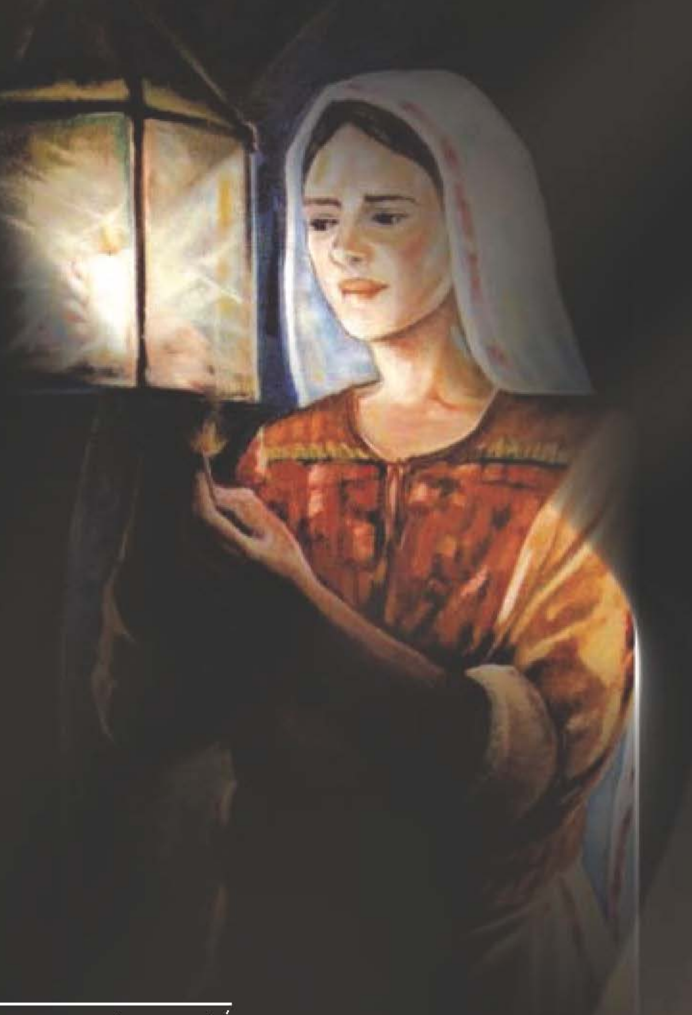
٣- الفراغ الديني والنقص الأخلاقي:

نظرا لشيوع الفتن الأخلاقية في هذا الزمان والذي له أسبابه العديدة جدًا، فإن العديد من الشبان -رواد مقاهي الانترنت- يجد في المواقع المسمومة (ذات الطابع الترويجي لما هو لا أخلاقي) تلبية لرغباته ونزواته التي تتحكم به وهو مسلوب الإرادة مفتون القلب والعقل.

ولابد هنا من ذكر الجهود الفردية الارتجالية التي يقوم بها بعض أصحاب المقاهي للتصدي لهذه الظاهرة بطرق شتى تحول دون دخول الشباب إلى هذه المواقع.

مناخات التشكيل في إربد:
البدايات.. الواقع.. والطموح

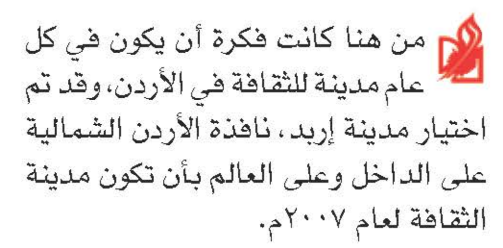
غازي انعيم *



تبقى الفنون بفروعها المتعددة، مقياس حضارة الأمم، وعلامة نهضتها، ومظهر نموها، ودلالة ازدهارها، وعنوان تقدمها... وبقدر ما تحقق الشعوب من تقدم في مجال الثقافة والفن بقدر ما تتسع الرقعة التي تحتلها على خارطة العالم الحضارية، لتتجاوز الحدود الجغرافية والمسميات... إلى عالم الإبداع والثقافة، حيث القيمة الفنية هي الحدود والتحليق في آفاق العقل.

الأردن، كغيره من البلدان، أدرك الحقيقة.. حقيقة أن الفن والثقافة هما النافذة التي يطل منها على العالم.. ومن خلالها يطل العالم عليه، ليحصل التفاعل الحضاري المنشود، وتأخذ البلاد مدارها في فلك التقدم والرقي.

* فنان تشكيلي وناقد، عمان - الأردن.



من هنا كانت فكرة أن يكون في كل عام مدينة للثقافة في الأردن، وقد تم اختيار مدينة إربد، نافذة الأردن الشمالية على الداخل وعلى العالم بأن تكون مدينة الثقافة لعام ٢٠٠٧م.

وقبل تسليط الضوء على بدايات التجربة وآفاقها في مدينة إربد، لا بد من الإشارة بأن حركة الفنون التشكيلية في إربد، هي كما في السلط، وكذلك في مأدبا والطفيلة والكرك والعقبة... وعمان وفي بقية مدن وقرى الأردن، مع بعض الاستثناء للمركز -مدينة عمان- تشهد ركودًا وتراخيًا في الرؤيا الفنية، وفي الهاجس والطموح، وإذا تأملنا حركة الفنون التشكيلية في إربد وبقية مدننا، سنجد أنها بدأت في الأساس معزولة عن المواطن الأردني العادي، الذي لم يعتد على لوحة الحامل والتمثال كأشكال فنية عليه ارتياد قاعات العرض لمشاهدتها واقتنائها، وربما نستطيع تلمسّ المسار الواحد للحركة التشكيلية على مدى الوطن، عندما نُعيد تقويمها وقراءتها موحدين بين الهمّ الحضاري، وبين الهم الفني الجمالي المحض، كون الفن لغة قائمة بنفسها، قادرة على التعبير والتواصل بين أفراد المجتمع.

- **لكن كيف كانت بداية الفنون التشكيلية في إربد؟**

طوت الأيام ٤٣ عامًا على بدء مسيرة الفن التشكيلي في إربد، تلك البداية التي خطاها الفنان محمد خير ديباجة، بجهود شخصية وفردية في مسار الألف ميل، عندما افتتح معرضه الشخصي الأول في إربد بعد عودته من دراسة الفنون في معهد الفنون الجميلة ببغداد عام ١٩٦٤، وقد كان لهذا المعرض أهمية كبرى لأنه أول معرض يقام في إربد، وفي عام ١٩٧٠ حصل على دبلوم عال من معهد الفنون الجميلة في بلغراد، وبعد عودته لإربد في العام نفسه الذي تخرج فيه، أقام معرضه الثاني بالاشتراك مع الفنانة اليوغسلافية (ليديا يوفج)، ثم انتقل إلى

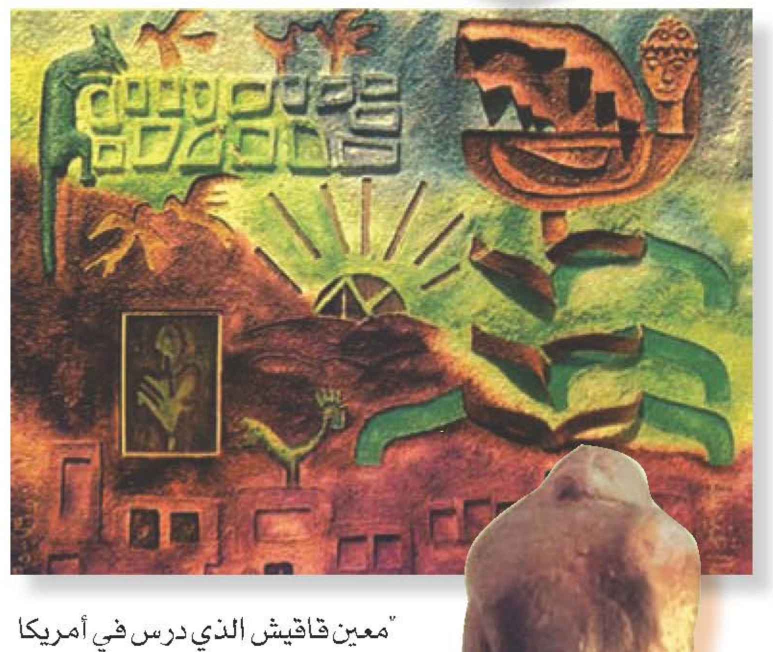


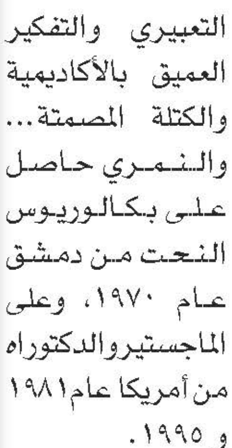


تدريس مادة الفن في الرمثا، ليصبح بذلك أول أستاذ يحمل شهادة أكاديمية لمادة التربية الفنية، ويُعدّ العام الذي بدأ يُدرّس فيه الفن بداية تعليمية مهمة في مسيرة التربية الفنية في الرمثا وإربد.

وقبل ذلك التاريخ، كان الفن مجرد مادة تُدرس إلى جانب المواد الأخرى في إربد وبقية المناطق في الأردن -لا زالت مهمشة حتى الآن- ولم يكن هناك نظرة ثاقبة من قبل المسؤولين في وزارة التربية بأهمية دور الفن في المجتمع، وأن المجتمع الأردني بالرغم من حداثته بحاجة ماسة لفنانين من أجل البناء والنهضة، والرقي، وإلى تشجيع أبنائهم على ممارسة الرسم وتعليمهم كل ما هو جديد وصقل مواهبهم من خلال التدريب في مراسم المدارس -غير موجودة حتى الآن- من جانب آخر، وبذلك كانت الفنون تنمو ببطء وبجهود فردية.

وفي الستينيات تطورت طرق التدريس بعد افتتاح "معاهد المعلمين" وبشكل خاص "معهد حواره/إربد" الذي خرّج العديد من المعلمين المتخصصين بمادة التربية الفنية، بالإضافة إلى عودة الطلاب الذين درسوا الفنون الجميلة أو التربية الفنية في بعض الدول الأجنبية، أو الدول المجاورة مثل العراق وسوريا، فقد تخرج في الأخيرة بمجال النحت " كرام النمري " وهو الآن نحّات يمثل طليعة الجيل الثاني في الأردن ويتسم بقدرته على تمثيل الطابع الغنائي في منحوتاته، واختزال سطح الخامة الحجرية وبلاغة انفرد بها في التعبير، وتتسم أعماله التي تُركّز على الجانب الإنساني والإحساس



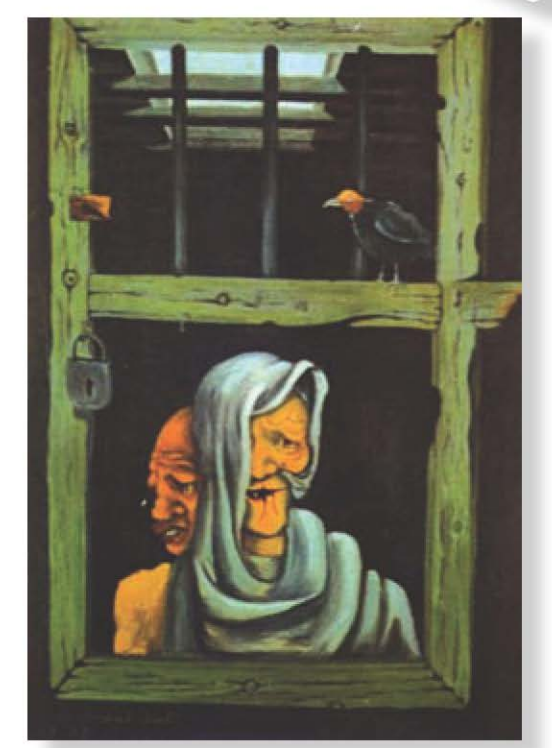


التعبيري والتفكير العميق بالأكاديمية والكتلة المصمتة... والنمري حاصل على بكالوريوس النحت من دمشق عام ١٩٧٠، وعلى الماجستير والدكتوراه من أمريكا عام ١٩٨١ و ١٩٩٥.

وإذا كان "كرام النمري" قد مثّل الأسلوب الواقعي الأكاديمي، فإن هناك من مثّل الأسلوب الرمزي التجريدي، ومنهم النحات "عبد الرحمن المصري" الذي نفّذ مجموعة من الأعمال بتجريدية واضحة، وتلخيص شديد، تتخلله فجوات بسيطة منها ما هو مغلق، ومنها ما هو مفتوح... والنحات "عبد الرحمن المصري" تخرج في كلية الفنون الجميلة بدمشق عام ١٩٧٣.

بعد ذلك توالى عدد الدارسين للفن ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

"معين قاقيش الذي درس في أمريكا عام ١٩٧٢، وبادي طويط الذي تخرج في كلية التربية الفنية من القاهرة عام ١٩٧٥، وخالد الحمزة الذي حصل على بكالوريوس فنون من القاهرة عام ١٩٧٧ وماجستير من أسبانيا عام ١٩٨٤ ودكتوراه من أوهايو عام ١٩٩٣، والخزاف عصام نصيرات الحاصل على بكالوريوس من كلية الفنون في بغداد عام ١٩٧٨، والخزاف حازم الزعبي الذي تخرج في كلية الفنون ببغداد عام ١٩٨٠، وضيف الله عبيدات الذي حصل على بكالوريوس فنون من القاهرة عام ١٩٨٢، ثم على ماجستير من جامعة اليرموك، وعبد السلام كنعان



الذي حصل على بكالوريوس الفنون من جامعة اليرموك عام ١٩٨٧ والدكتوراه من ألمانيا عام ١٩٩٥، وحسني أبو كريم الذي حصل على الدكتوراه من الاتحاد السوفيتي، وزياد حداد الذي درس النقد في أوهايو، كولومبوس عام ١٩٩٦، وبسام الردايدة الذي حصل على دكتوراه في فنون الغرافيك من أمريكا، ومحمد شعبان الذي حصل على ماجستير بالخزف من أنديانا عام ١٩٨٣ وعلى الدكتوراه من جامعة ايلينوي عام ٢٠٠٠م، وراتب شعبان الذي حصل على الدكتوراه في فنون التصوير من الأكاديمية الوطنية للفنون الجميلة في صوفيا ببلغاريا عام ٢٠٠٠".

وهناك أيضًا العديد من الفنانين الذين درسوا الفن سواء في الداخل أو الخارج مثل: "أيمن غرايبة الحاصل على بكالوريوس بالفنون من جامعة اليرموك عام ١٩٨٦، وخليل الكوفحي الحاصل على بكالوريوس بالفنون من جامعة اليرموك عام ١٩٨٦، وإدريس الجراح الحاصل على بكالوريوس الفنون بالرسم والنحت من جامعة اليرموك عام ١٩٨٨، ومحمد خالد عبد السلام الحاصل على الماجستير في الفنون من الأكاديمية الوطنية للفنون الجميلة في صوفيا ببلغاريا عام ١٩٩١، ورسمي الجراح الحاصل على بكالوريوس بالفنون من جامعة اليرموك عام ١٩٩٢، وسليم عايش الحاصل على بكالوريوس بالخزف من جامعة اليرموك عام ١٩٩٥، والخزاف حازم النمراوي الحاصل على بكالوريوس الفنون من جامعة اليرموك عام ١٩٩٧، وإبراهيم الخطيب الحاصل على بكالوريوس بالفنون من جامعة اليرموك عام ٢٠٠٠، ومحمد جهجاه الحاصل على بكالوريوس بالفنون من جامعة اليرموك عام ٢٠٠٠، وجهاد العامري الحاصل على بكالوريوس بالرسم والتصوير من كلية الفنون الجميلة ببغداد عام ٢٠٠٢، ومنال برقاوي الحاصلة على بكالوريوس بالفنون من جامعة اليرموك عام ٢٠٠٥، والراحلة إشراق سيف الدين الحاصلة على بكالوريوس بالفنون عام ٢٠٠٥، ومحمد ذيابات الحاصل على بكالوريوس بالغرافيك من الجامعة الأردنية عام ٢٠٠٦...".

وهناك أيضًا من درس الفن دراسة خاصة سواء على يديه أو عند أساتذة مثل: "عمر بصول، ومحمود عيسى موسى وغاندي الجيباوي".

وقد واجه كثير من هؤلاء الفنانين الذين درسوا في الخارج وعادوا للوطن في فترة السبعينيات وما بعدها -عملوا في مهنة التدريس- الكثير من التحديات من أجل نشر الفن بين التلاميذ، باعتبار الفن أحد مظاهر النهضة، ومن تلك التحديات توقف تدريس مادة الفن بعد المرحلة الإعدادية، وعدم دخول علامة الفن في المعدل العام، وهذا انعكس بشكل سلبي على مستوى الطلاب الذين يلتحقون في كليات الفنون سواء في جامعاتنا الحكومية أو الخاصة، نظرًا لعدم وجود خلفية فنية عندهم، وبسبب عدم وجود مادة للتربية الفنية في المرحلة الثانوية.

وازداد حضور الفن التشكيلي بشكل أكثر مع تأسيس رابطة الفنانين التشكيليين الأردنيين في عام ١٩٧٨، فقد ساهمت مساهمة فعالة في تنشيط الحركة التشكيلية الأردنية، من خلال مشاركات الفنانين المقيمين في عمان وبقية المدن الأردنية في المعارض المحلية والخارجية، وفسحت المجال أمام الفنانين الشباب -وجلهم من مدينة إربد- بالتنافس والاحتكاك مع الفنانين الأردنيين في المركز، كما ساهمت الرابطة في تنمية الوعي الفني لدى المجتمع الأردني.

وفي بداية الثمانينيات دخل الفن التشكيلي الأردني مرحلة جديدة، عندما برز الاهتمام الحكومي بالفنون الجميلة، وكان من نتائج ذلك الاهتمام تأسيس دائرة الفنون الجميلة في جامعة اليرموك عام ١٩٨٠م، بعد ذلك تحولت إلى كلية فنون، وقد خرج من ثنايا معطفها مئات الطلاب... وكان من المفترض أن تكون تلك الكلية صرحًا حضاريًا ورمزًا من رموز المعرفة الثقافية، ومنارة من منارات الإبداع من ناحية، ومن أهم وسائل تدعيم



الحركة التشكيلية في الأردن، بالإضافة إلى الانفتاح على المجتمع المحلي بجانبه الثقافي والجمالي من ناحية أخرى، إلا أن شيئًا من هذا لم يحدث.

بالإضافة إلى ما ذكر تبقى بعض السلبيات التي حدّت بدورها من تطور الفن التشكيلي الأردني في السنوات الأخيرة، من أبرزها غياب الكثير من الفنانين الذين سبق وأن أشرنا إليهم عن الساحة التشكيلية، وانشغالهم بمشاغل الحياة اليومية وبشكل خاص التدريس، وقد تزامن مع هذا الغياب ظهور بعض المتميزين من خريجي كليات الفنون الجميلة وهم لا يتعدون أصابع اليد الواحدة، وإلى جانب ذلك، ظهر بعض الهواة، ومنهم خريجو كليات فنون يفتقرون للرؤية والخبرة، والغاية من الفن.

بعد الاستعراض الموجز لتاريخ الحركة التشكيلية في إربد، لا بد من التوقف وتسليط الضوء على أبرز الاتجاهات الفنية عند الفنانين الشباب الذين صاغوا تلك الاتجاهات والتعرف إلى سماتهم الفنية.

فمن جيل الشباب، نكتشف أعمال الفنان إبراهيم الخطيب الذي يتفرد باعتماده على المساحات اللونية ذات الحس الجمالي، مع إبرازه للعناصر التي يرسمها بضربات عريضة ذات شحنة تعبيرية.

ونلتفت إلى تجربة الفنان غاندي الجيباوي الذي كشف من خلال لوحاته المستوحاة من الطبيعة بنقائها وتقلباتها، عن مقدرة لونية واضحة تتم وفق رؤية شعرية رقيقة، وهو هنا يلتقي مع الفنان إبراهيم الخطيب، ولكن لكل منهما معالجته الخاصة في التلوين، حيث تبدو في أعمال غاندي ملامح النضج في الاتجاه التأثيري، وخاصة اعتناءه بتأثير الضوء الساقط على رسم الأشجار والجبال والصخور... واعتماده على اللمسات التأثيرية في معالجة الضوء وقد خدمه في ذلك فرد الرشّ.

وأما في مجال الغرافيك، فقد برزت تجربة الفنان "جهاد العامري" التي تنتمي إلى التجريد الإشاري الغني بدلالاته ورموزه وأبعاده، تلك التجربة التي أصبحت تحتل مكانة متميزة في الأردن، تميل نحو التبسيط في رسم الأشكال، والتسطيح للمساحة من خلال رسم الخطوط الموحية ببنائها الهندسي البسيط، والتي تضفي على الشكل المسطح عمقا جماليًا بلا

افتعال، تعد من التجارب المتميزة، وقد بلغت تجربته الأخيرة التي قدمها في غاليري الأورفلي درجة رفيعة المستوى، عالية في الأداء، عندما تزاوجت وتشابكت مع أشعار لوركا والبياتي، حيث شاهدناه من خلال تلك التجربة يُجرّد الأشكال ويحطمها، ومن ثم يقوم بإعادة بنائها استنادًا إلى قوة الخط ورشاقته.



وينطلق الفنان الشاب "محمد ذيابات" من حالة انفعالية تلقائية ويمارس تمارينه الذهنية البصرية على مسطح المعدن حيث تندفع الرأس الحادة وتتماوج في استطراد غنائي صاخب أو هامس تبعًا للحظة الوعي بالخط أو الشعور ظاهريًا بوجوده.

والخط المشبع بجماليات التجريد عند "ذيابات" هو أساس بناء اللوحة، وهذا يعوض عن التشخيص المباشر.

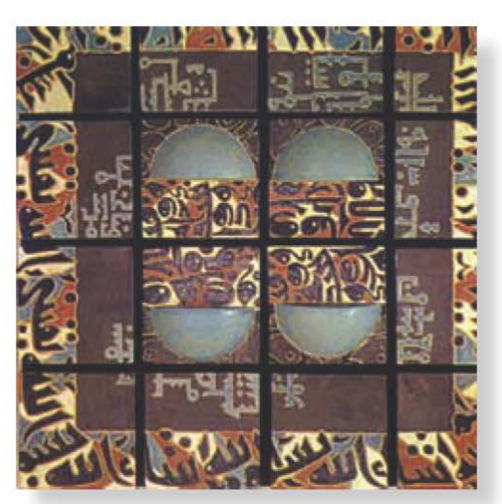
ويميل النحات الشاب "محمد جهجاه" الذي يتعامل مع الخشب كمادة أولية - جذوع الشجر- نحو تجسيد المشاعر الإنسانية بأسلوب واقعي، وأغلب أعماله المتسمة بالبساطة مستقاة من البيئة المحلية بعاداتها وتقاليدها، وقد أبرز عبر منحوتاته "ريليف نافر" ذات الحجم الصغير، علاقة الإنسان بالمكان، عندما أحسن ربطه بالجماليات المعمارية والتراثية.

وتعد الفنانة الراحلة "إشراق سيف الدين" (م: ١٩٨٢ - ت: ٢٠٠٧) من أهم الفنانات اللاتي اتجهن إلى التجريد في أعمالهن، حيث تميز أسلوبها بالاعتماد على الأشكال الهندسية كوحدات تشكيلية من ناحية، وعلى المساحات اللونية من خلال تجاوراتها من ناحية أخرى، وقد تعاملت مع التجريد الهندسي لتحقق التوازن بين المساحات اللونية التي تتباعد بنسب محسوبة إيقاعيًا. وللفنانة الراحلة أيضًا تجربة في التصوير الضوئي، ركزت فيها على موتيفة النافذة والباب، حيث رصدت من خلالهما رؤية الداخل الاجتماعي والخارج وما بينهما، فيطل من في الداخل على الخارج والعكس، وقد استطاعت الفنانة أن تقدم مفرداتها بلغة تشكيلية من خلال الصورة في سياق من الوعي أو انبثاق الرؤية وإدراك الأشياء

والمحيط.

تلك هي مسيرة الفن التشكيلي في إربد التي تعوزها دراسة متأنية، أما المثير للدهشة ويستلزم الدراسة أيضًا هو قلة الفتيات الممارسات للفن التشكيلي رغم وجود غالبية ساحقة منهن في كليات الفنون بجميع تخصصاتها وبنسبة عالية مقارنة مع الذكور.

وقبل أن نختم، لا بد من الإشارة إلى بعض النقاط المهمة، لعلها تساهم في إنارة الطريق أمام اللجنة المكلفة بالإشراف على النشاطات الثقافية والفنية في إربد، وهي:



١- بناء مركز ثقافي كبير يضم صالة للفنون التعبيرية تكون مهمتها عرض حفلات سيمفونية، وأوبرا، ودراما، وموسيقى. ومكتبة عامة حديثة لكي تساعد الزائر على العثور على الكتاب بسرعة وسهولة دون البحث بين الرفوف، وعلى أن تضم المكتبة العديد من الكتب الفنية والموسيقية... وكذلك صالة عرض للفنون التشكيلية، بالإضافة إلى حديقة للمركز تحوى العديد من المنحوتات لنحاتين أردنيين، على أن يكون هناك إدارة متخصصة للمركز من مهامها:

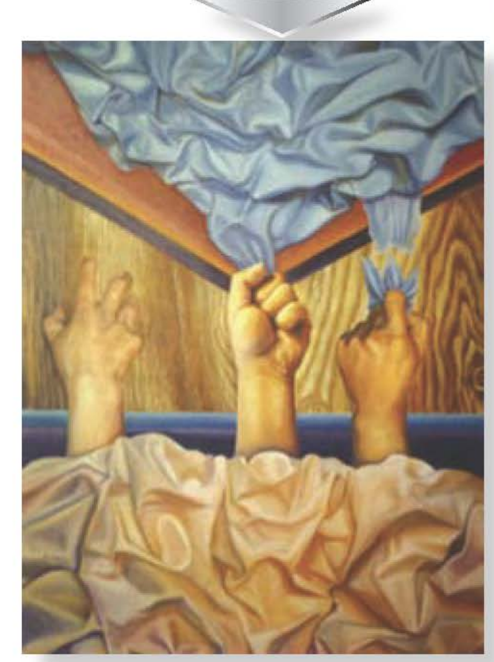
أ- تطوير وتنويع معروضاتها سواء كانت أعمالاً فنية محلية على صعيد إربد، أو على صعيد الأردن، أو على الصعيد الخارجي.

ب- شراء واقتناء الأعمال الفنية، ذات السوية العالية، وتعريف الزائر بالمجموعة التي تقتنيها الصالة.

ج- تقديم دروس في الفن، وفتح ورش فنية وإلقاء محاضرات، وعرض أفلام عن الأعمال الفنية.

٢- إقامة معرض سنوي للفنانين التشكيليين في إربد، ويُعدّ هذا المعرض . إذا أخذ بالفكرة أحد المؤشرات التي ترصد درجة تقدم وتطور الحركة التشكيلية في الشمال، وسيكون أيضًا بمثابة عيد تشكيلي يحتفي الفنانون فيه بأنفسهم رغم تباين توجهاتهم وأفكارهم ورؤاهم الفنية، كما يتيح لمحبي الفنون التعرف إلى واقع الحركة التشكيلية في إربد وأيضًا تعرّف الوجوه الجديدة في الفن... ويمكن أن ينقل هذا المعرض إلى بقية





مدن المملكة بالتنسيق مع الجهات الثقافية المختصة.

٣- بناء متحف أثري، ومتحف للفن الأردني المعاصر، ومكتبة تتبعهما لتكون مصدرًا مهمًا للمعلومات التاريخية والثقافية.

٤- تشكيل لجنة يطلق عليها (لجنة التنسيق الحضاري) من المتخصصين بالفنون التشكيلية، مهمتها إقامة المسابقات، والإشراف على المعارض، وتزيين بعض المواقع المهمة في مدينة إربد بالجداريات والتماثيل الميدانية، لأن هذه المشاريع تعمل على ربط العلاقة ما بين الفنان والفن بالشارع الأردني.

وعلى ذكر التماثيل الميدانية نأمل أن تقرها لجنة متخصصة من خلال مسابقات.. مع أن مثل هذه النصب ينبغي أن تقام بتكليف نحاتين كبارًا يستندون إلى تاريخ حافل مثل كرام النمري وعبد الرحمن المصري وغيرهم، وهنا نسوق مثالاً على ذلك، فحين أرادت فرنسا أن تقيم تمثالاً لتخليد أديبها الكبير "بلزاك" كلّفت رائد النحت في عصره "أوجست رودان" (١٨٤٠ - ١٩١٧) ولم تتركه لعبة في أيدي هواة يستعرضون فقر مواهبهم وضيق معارفهم، نسوق هذا الكلام بمناسبة إقامة نصب مدينة الثقافة الأردنية في إربد، فالنصب التذكارية كما يشير "كنعان مكية": "هي أكثر من كونها منشآت جمالية، فهي في أعماق جوهرها، تعبير عن ذكريات تجسد لب هوية المدينة التي تنتصب فيها، حيث تضفي عليها طابعًا خاصًا.. وشكل النصب وحجمه وطريقة صنعه وتاريخ خروجه إلى حيز الوجود والمحن التي يمر بها القائمون بصنعه، وتحديد موقعه من مدينته، كلها أمور تسهم في بلورة انطباعات الذاكرة، ولكن المهم هو مدى علاقتها بالمدينة فعلاً، وأي منها يكتب لها البقاء للتعبير عنها، ومن هنا تنبع قضية المسؤولية، سواء أكانت فردية أم جماعية".



إيمان مرزوق *

فنان من إربد

عصام نصيرات: سادن الخزف

قُبيلَ ذلك الربيع المزهر على مشارف حُلم شمالي، وبعد مخاض بكر، ووسط ابتهالات الرحمة والخلاص، وضعتهُ طفلاً محاطًا بكيس!!

بدهشة عامرة برهبة هذا النوع من الولاداتِ النادرة حملت الجدّةُ ذلك الكيس.. طَوتهُ بعناية، جفَّفته، وأخفَتْه حِرزًا في مكانٍ لم يعرفه أحد سواها، لاعتقادها أن من يُولد في كيس سيكون له شأن العظماء عندما يكبر!

رحلت الجدّةُ ودُفن معها سر ذلك الحرز. ولنعرف إلى أي مدى صدَقت نبوءة الجدة خيريّة كان لنا هذا الحوار مع الحفيد عصام...



* فنانة تشكيلية وكاتبة للأطفال، تعمل في الصحافة - الأردن

• هناك بصمة خاصة يتركها المكان في الإنسان وخاصة الفنان، ما الذي يحمله عصام نصيرات في نفسه من ذكريات الطفولة في إربد؟

– ولدت حيث ولد عرار في شارع مضافة التلول في إربد، وطفولتي كانت عادية كأي طفل يولد في عائلة فقيرة، عشت السنوات الأربع الأولى في بيت جدي لأمي لأن والدي كان عسكريًا ولا نراه إلا في الإجازات، بعد السنوات الأربع انتقلنا للعيش في بيت متواضع في شارع الهاشمي.

دراستي الابتدائية كانت في مدرسة الفارابي، والثانوية في مدرسة الأمير حمزة في الملعب البلدي في إربد كنا نقطع مسافة ٤ كم يوميًا مشيًا على الأقدام كانت هذه الرحلة اليومية ممتعة في أيام الربيع لكنها كانت قاسية جدًا أيام البرد والثلج!

كان الناس في أحياء إربد الشعبية حينها يعيشون في وسط متجانس اجتماعيًا وماديًا وفكريًا بالرغم من تنوع أصولهم. ولهذا لم أكن أحس بالحرمان لأن ظروفنا كانت متشابهة، أذكر أيام الأعياد كيف كنا أنا وأبناء الجيران نقوم حتى الفجر بعشرات الرحلات بين البيت والفرن لِخَبز "أقراص العيد" وهي أكلة شعبية تمتاز بها المنطقة تتكون من خبز معجون مع القزحة واليانسون والسمسم والزيت ويُزيَّن بزخارف جميلة.



• أنت الابن البكر لأب عسكري فهل كانت تربيته لك تربية عسكرية؟

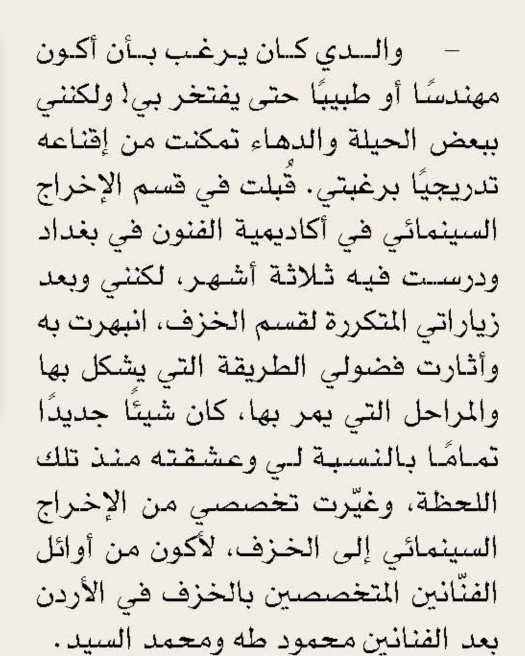
– نعم.. إلا أن قسوته كانت نوعًا من المحبة، ولكني كنت أحس بالغضب حينها ولم أفهم دوافعه إلا عندما أصبحت أبا.. أذكر في إحدى المرات عندما كنت في الصف الرابع الابتدائي أنه عاقبني بالزحف على ركبتيّ وكوعيّ من دكان تأجير "البسكليتات" وحتى البيت معتبرًا أن ركوب "البسكليت" نوعًا من "الهمالة"!!

إلا أنه زرع فينا روح الوطنية والقومية العربية وعزز انتماءنا لأقطار الوطن العربي قاطبة دون تفريق.

• لكل طفل حلم يتمنى تحقيقه.. ماذا كنت تتمنى أن تكون عندما تكبر؟

– حلمت بأن أكون فنانًا مشهورًا! أحببت دائمًا أن أجمع الأهل والأصدقاء من حولي، وأن يكون لي دورٌ قيادي ريادي منذ الصغر.

• أنهيت المرحلة الثانوية وقررت دراسة الفنون رغم رفض والدك القاطع فكيف تدبرت الأمر؟



– والدي كان يرغب بأن أكون مهندسًا أو طبيبًا حتى يفتخر بي! ولكنني ببعض الحيلة والدهاء تمكنت من إقناعه تدريجيًا برغبتي. قُبلت في قسم الإخراج السينمائي في أكاديمية الفنون في بغداد ودرست فيه ثلاثة أشهر، لكنني وبعد زياراتي المتكررة لقسم الخزف، انبهرت به وأثارت فضولي الطريقة التي يشكل بها والمراحل التي يمر بها، كان شيئًا جديدًا تمامًا بالنسبة لي وعشقته منذ تلك اللحظة، وغيّرت تخصصي من الإخراج السينمائي إلى الخزف، لأكون من أوائل الفنّانين المتخصصين بالخزف في الأردن بعد الفنانين محمود طه ومحمد السيد.

• بأي منظور ترى الفن؟

– الفن ليس مجرد لوحة جمالية بل هو فكر وأسلوب حياة وسياسة أيضًا وطريقة للتعبير عن الوطنية والانتماء، وأنا أفتخر بالطلاب الذين تتلمذوا على يديّ والذين بلغ عددهم ١٧٥ حاز ١٣ منهم على لقب فنان تشكيلي وليس بينهم عاطل عن العمل؛ جميعهم فاعلون بالمجتمع وينتجون الخزف وبعضهم يحصل على أضعاف الدخل الذي أحصل عليه أنا وهذا يُسعدني لأنني على يقين بأنني ساهمت في بناء المجتمع وخدمة الوطن من خلالهم.

• هل ترى الخزف فنًا أم صناعة؟

– الخزف علم وفن وصناعة من أعقد الصناعات، وعلى الخزاف أن



يكون متمكنًا من علوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات وإلا لن ينجح.

وبالنسبة لإنتاجي للخزف فأنا أنتهج ٣ مسارات في الإنتاج، هناك مسار تجاري أنتج فيه "طلبيات" معينة من القطع الخزفية وهذا الجانب مهم حتى يتمكن الفنان من الاستمرار في حياته، وهناك المسار الفني البحت والذي أنتج من خلاله قطعًا فنية خاصة بي، وتحمل أسلوبي وفكري الخاص وتكون قطعًا ذات تصاميم مبتكرة وفريدة.

والمسار الثالث الذي أنتهجه في إنتاج القطع يهدف إلى حماية وترسيخ تراثنا الخزفي المحلي الأردني عبر العصور وحماية تاريخنا من التزييف والسرقة وادعاءات الدخلاء، بحيث أقوم بمحاكاة القطع الأصلية وتطويرها ودراستها من حيث أشكالها وزخارفها ورموزها وطرق تصنيعها وتعريف العالم بها كجزء هام من حضارتنا من خلال مشاركتها بمعارض عالمية.

• عام ١٩٩٨ اكتشفت إصابتك بمرض السرطان وعرفت أن سبب الإصابة هو الخزف وما يترتب على صناعته من استنشاق الأكاسيد الملونة والمركبات الكيميائية الخطرة ولكنك لم تتوقف عن إنتاج الخزف، لماذا؟



– لم أتوقف عن ممارسة فن الخزف لأني أعشقه أكثر من أي شيء آخر، عشقته ومارسته منذ اللحظة الأولى قبل حوالي ٣٢ عامًا ولا زلت حتى اليوم، ولكنني كثفت دراستي حول مخاطره وأجريت أبحاثي الخاصة بكيمياء الخزف أثناء فترة علاجي في أمريكا حتى أجنب غيري أخطار الخزف باتباع طرق صحية ووقائية معينة، وابتكرت أربعة ألوان استخلصتها من نباتات طبيعية، وأتعامل في مشغلي اليوم بمواد آمنة.

بعد مرضي وأزمتي المادية عرفت الصديق من العدو بعد أن انفض من حولي معظم من كانوا يتحلقون حولي أيام الرخاء!

ومع هذا لا أكره أيا منهم ومستعد لتقديم أي مساعدة علمية يحتاجونها، أبدأ حياتي الآن من الصفر وأشعر بالرضا والسعادة وعندي أمل كبير بالحياة وأحلام وطموحات سأسعى لتحقيقها طالما في العمر بقية!

• أنت تولي الجانب الروحاني من حياتك اهتمامًا بالغًا..

– بالتأكيد.. إيماني ويقيني بالله كبيران، أحب الناس وأحترمهم، ليس المهم أن نعيش.. الأهم أن نفهم كيف نعيش!

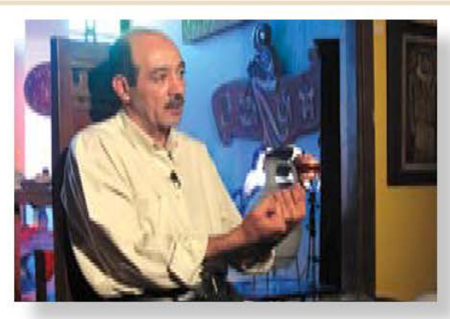
منذ ثلاثين عامًا وحتى اليوم وأنا أحاسب نفسي مساء كل يوم وأعيد حساباتي، ولا أتردد من الاعتذار من إي إنسان أخطئ بحقه بغض النظر عن مستواه الاجتماعي أو العلمي أو العمري أعامله بإنسانية لأنه إنسان!.

• برأيك ما هو سر نجاح عصام نصيرات؟

– الإرادة والتصميم على الاستمرار دائمًا مهما كانت الظروف صعبة وقاسية، والسعي لتحقيق هدف إيجابي نحدده وننطلق نحوه مسلحين بالإيمان بالله.. وبدون شك سيصل الإنسان إلى هدفه.

• هل تُعدّ نفسك محظوظًا؟

– أنا أكثر المظلومين حظًا..!



• عصام محمد محمود النصيرات

- مواليد إربد ١٩٥٨/٢/١.
- بكالوريوس فنون جميلة تخصص خزف/ أكاديمية الفنون/بغداد ١٩٨٠
- باحث دكتوراه في مجال كيمياء الخزف في أمريكا .
- شارك منذ ١٩٨٠ وحتى اليوم بثلاثين معرضًا منها ثلاثة عشر معرضًا شخصيًا في دول عربية وأجنبية.
- ١٩٨١- ١٩٨٣ عمل رئيسًا لقسم الخزف في "مركز هيا الثقافي" عمان ومصممًا في مركز التراث/ وزارة التنمية الاجتماعية.
- ١٩٨٢ افتتح أول جاليري فني خاص مفتوح لتعليم الفنون والتقاء المثقفين والفنانين والهواة.
- ١٩٨٣- ١٩٨٧ عمل مدرسًا للرسم/ مدارس الهيئة الملكية/ السعودية.
- ١٩٨٧-١٩٨٩ عمل مدرسًا للفنون في كلية عمان والجامعة الأردنية.
- ١٩٨٨-١٩٩٥ نائبًا لرئيس رابطة الفنانين التشكيليين الأردنيين.
- ١٩٨٩-١٩٩٠ أسس مركز الخزف الوطني (بيت البوادي حاليًا).
- ١٩٩٠-١٩٩٨ أعاد افتتاح مشغله الخاص.
- ١٩٩٩-٢٠٠١ عمل في أمريكا وأسس مشغل يونيفرسال للفنون. ٢٠٠٥- ٢٠٠٧م أنشأ مشغل وجاليري كوخ الفخار للفنون الخزفية والنبطية بالتعاون مع الفنانة أماني جبر.
- اكتشف أكثر من ١٧ موقعًا للطينة الأردنية.
- اكتشف أكثر من موقع للزجاج الأردني.
- أول مكتشف في الأردن لألوان الخزف من الأعشاب.
- قام بتصنيع كافة الأجهزة الخاصة بصناعة الخزف محليًا و زوّد بها الكثير من المشاغل والمصانع المحلية والعربية.
- أسس الجمعية الأردنية الأمريكية للثقافة في كاليفورنيا، أمريكا، وكان رئيسًا لها .
- سيصدر أول مؤلف له بعنوان "الجامع في علم الخزف" في نهاية ٢٠٠٧م إن شاء الله.
- يحضر حاليًا لمعرض "خزفيات الأردن.. حوار الحضارات".



عزمي خميس

المبدع والمدينة

تحتل المدينة حيزًا كبيرًا من كتابات المبدعين شعراء وروائيين على وجه الخصوص، وكم من مدينة في شرق العالم وغربه تلمّس القارئ ملامحها من خلال رواية، أو قصة دون أن يراها في الواقع.

ولا أحد يستطيع أن يجزم من الذي يُؤثّر في الآخر، هل المدينة هي التي تُؤثّر في الكاتب وتدفعه للإبداع، أم أن الكاتب هو الذي يُعطي للمدينة هذه الهالة التي نلمسها في الكتابات الإبداعية؟

ويبدو أن العلاقة في حقيقتها علاقة تأثر وتأثير.

فالمدن بما تزخر به من حراك اجتماعي وسياسي واقتصادي وثقافي تحفز المبدعين، وتمدّهم بالوقود اللازم للإبداع من أحداث وتطورات وعراقة وتاريخ وتناقضات، كما أن المبدعين الذي يرتبطون بالمدن ومفرداتها المكانية من شوارع وبيوت، ومقاه ومحطات ومطارات وحانات، إضافة إلى العلاقات العاطفية والاجتماعية التي تربطهم بشخصيات المدينة المختلفة يجدون أنفسهم مدفوعين لتصوير هذه العلاقات وما تُشعله من مشاعر وأحاسيس في أنفسهم ضمن إطار المكان الذي يضم كل هذا الخليط من الكائنات والموجودات.

وهذا لا يعني صواب الفكرة القائلة إن المدن الصغيرة لا تخلق مبدعين، فالمدن كما الأفكار مبذولة للجميع، والكاتب المبدع يستطيع أن ينسج حول أصغر الأمكنة، وأبسط الحوادث عملا إبداعيًا كبيرًا.

وليس هناك إجماع على حبّ المدينة أو كرهها لدى الأدباء، فالذين تحدّثوا عن قسوة المدينة وجهامتها، شعرًا ورواية كثيرون، والذين تغزلوا بها وبجمالها وحاراتها، وشوارعها وبيوتها أيضًا كثيرون من الشعراء والروائيين العرب والعالميين.

نقول هذا، ونحن نحتفل بإربد مدينة للثقافة الأردنية، ونتأمل هذا العدد الكبير من المبدعين شعراء وروائيين وقاصّين ونقادًا الذين تحتويهم هذه المدينة، الذين نأمل أن نراها مجددًا، ولكن من خلال إبداعاتهم وكتاباتهم.

فمن المؤكد أن لدى إربد ما تقوله لهم، ولديهم أيضًا، ما يقولونه عنها، ولها.